

العدد : ١٠٩ رمضان ١٤٢٦هـ السنة الخامسة والعشرون

في أدب الأطفال

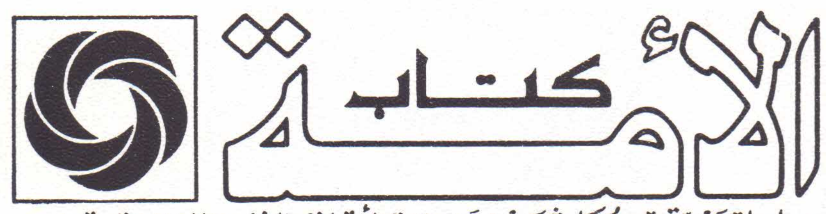
رؤية الحاضر.. بصيرة المستقبل



محمد بسام ملص

محمد بسام جودت زكي ملص

* من مواليد الأردن، عام ١٩٥٠م.
* تخصص في اللغة الإنجليزية وآدابها، وحصل على دراسات عليا في علم المكتبات والمعلومات.
* بدأ اهتمامه بثقافة الطفل ومسرح الأطفال، تأليفاً وإخراجاً ودراسة، منذ عام ١٩٧٠م.
* صدر له (١٦) قصة للأطفال، منها: رحلة عبر الزمن؛ هكذا الدنيا؛ يوم فاضت عيناه من الدمع؛ درب الخير؛ الدينار.
* له أكثر من عشرة كتب في مجال ثقافة الطفل، منها: عثمان ابن عفان في أدب الأطفال؛ النهضة الأوروبية في أدب الأطفال؛ فتح الأندلس في أدب الأطفال؛ طفولة النبي ﷺ في أدب الأطفال.



ص . ب : ٨٩٣ - الدوحة - قطر

من شروط النشر في السلسلة

- أن يهتم البحث بمعالجة قضايا الحياة المعاصرة، ومشكلاتها، ويسهم بالتحصين الثقافي، وتحقيق الشهود الحضاري، وترشيد الأمة، في ضوء القيم الإسلامية.
- أن يتسم بالأصالة، والإحاطة، والموضوعية، والمنهجية.
- أن يشكل إضافة جديدة، وألا يكون سبق نشره.
- أن يُوثق علميًا، بذكر المصادر، والمراجع، التي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث.
- أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي، والسياسي، ويؤكد على عوامل الوحدة والاتفاق.
- يفضل إرسال صورة عن البحث، لأن المشروعات التي ترسل لا تعاد، ولا تسترد، سواء اعتمدت أم لم تعتمد.
- ترسل السيرة الذاتية لصاحب البحث.
- تقدم مكافأة مالية مناسبة.

هذا الكتاب.. يعتبر إلى حدٍ بعيد رؤية نقدية ودعوة للمراجعة والتقويم والفحص والاختبار لما يملأ الساحة من أدب الأطفال، على المستوى العربي، أو على المستوى الإسلامي، وخاصة في مجال القصص والسير والأعلام وأدب الطفل بشكل عام، سواء من حيث الشكل أو المضمون، ومحاولة لإلقاء أضواء كاشفة على مستقبل أدب الأطفال، والتدليل على أهميته في بناء مستقبل الأمة، ودعوة إلى حسن صناعته وفق منهجية واضحة وأدوات ملائمة تمكِّن الاغتراف من معرفة الوحي، وتحقق استرداد الفاعلية، وتقديم أدب أطفال متميز، ينطلق من مرجعية الأمة ويغرس قيمها في النفس ويحقق استقامة السلوك، بحيث يتحول الفكر إلى فعل، والإيمان إلى حركة، وتسترد الأمة الرحمة الغائبة، التي من أجلها جاءت الرسالة الإسلامية، وتشيعها على مستوى الذات و(الآخر).

ذلك أن الاستمرار في حالة العجز عن التغيير والارتقاء فيما نقدم، يعني أن هناك خللاً ما أو عطباً ما في وسائلنا لا بد من كشفه ودراسة سببه، وهذا يتطلب علماء وكتّاباً ومفكرين متخصصين يمتلكون أدوات النقد الصحيحة، كما يمتلكون القدرة والبصيرة على الخوض في أدق وأخطر المسائل النفسية والتربوية، والإفادة من تجارب (الآخر)، ليخلصوا منها إلى وسائل سليمة، تتحول إلى ثقافة اجتماعية في الأمة، حتى نتمكن من بلوغ المستقبل المأمول.

موقعنا على الإنترنت : www.Islamweb.net

البريد الإلكتروني: E. Mail:M_Dirasat@Islam.gov.qa

مطابع الراية - قطر

في أدب الأطفال
رؤية الحاضر.. بصيرة المستقبل

محمد بسام ملص

الطبعة الأولى

رمضان ١٤٢٦هـ

تشرين أول (أكتوبر) – تشرين ثاني (نوفمبر) ٢٠٠٥م

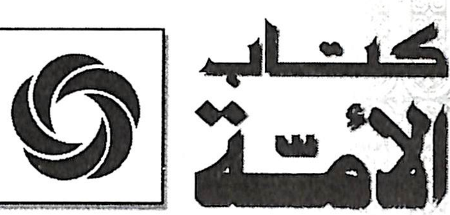
محمد بسام ملص
في أدب الأطفال رؤية الحاضر.. بصيرة المستقبل
الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٥م.
١٥٢ص، ٢٠سم - (كتاب الأمة، ١٠٩)
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٥٧٢ / ٢٠٠٥
الرقم الدولي (ردمك): X-٤٧- ٦٢-٩٩٩٢١
أ. العنوان ب. السلسلة

موقعنا على الإنترنت : www.Islamweb.net
البريد الإلكتروني: E. Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

يقول تعالى:

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾

(طه: ٣٨-٣٩)



سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر

تهدف إلى:

* العودة بالأمة إلى الكتاب والسنة، ومعالجة أسباب الغلو والتشدد.
* تأصيل الرؤية الشرعية للقضايا والمشكلات المعاصرة.
* تجديد أمر الدين، ونفي نوابت السوء.
* إحياء مفهوم فروض الكفاية، وبيان أهمية التخصص.
* التعريف بأهم مقومات النهوض، ومعالجة أزمة الحضارة.
* إعادة تشكيل العقل المسلم في ضوء معرفة الوحي.
* إبراز دور الطائفة القائمة على الحق.

مضى عليها أكثر من عشرين عاماً

تقديم

عمر عبيد حسنه

الحمد لله الذي فطر النفس الإنسانية على حب الخير، وجعلها مؤهلة لاكتساب الخير، والنـزوع إليه وفعله، والشعور بالسعادة والبشر بتحقيقه وتحصيله؛ وسوّى النفس البشرية تسوية مميزة عن سائر الخلق، وركز فيها طاقات وإمكانات من الصعب جداً إدراكها والإحاطة بها، وجعل مفتاح هذه الإمكانات والطاقات المركوزة في النفس البشرية بيد الإنسان نفسه، وجاءت هداية الوحي، أو معرفة الوحي، لترشده إلى المناهج والوسائل القادرة على تفجير ينابيع الخير في نفسه، وجعل الحيدة عنها مدعاة للوقوع في الشقاء والفجور والفساد والبوار، فقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ (الشمس:٧-١٠).

لذلك قد نبصر من بعض أبعاد هذه الآيات أن الله خلق النفس ابتداءً (سويّة)، وجاءت تسويتها بهذه الكينونة وولادتها كصفحة بيضاء نقية،

وأن أمر تزكيتها وتربيتها وتنميتها على فعل الخير وممارسته بيد الإنسان، فهي خامة بكر مهيأة للتصنيع والتشكيل؛ كما أن تدسيتها وإفسادها بالمعاصي منوط بالإنسان أيضاً.. ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠).

ولعل المسؤولية تعظم وتشتد أيضاً إذا أدركنا أن التربية على الخير والسير في طريقه امتداد لأصل الخلق ونقاء النفس، وأن الفساد والإفساد والتدسية والإصابة أمر طارئ عليها، وأن رصيد الفطرة من الخلق على الخير يشكل إمكانية قادرة باستمرار على التوبة والإنابة والتجاوز والنزوع إلى الأصل السوي، أو أصل التسوية، وفي هذا ما فيه من آفاق وآمداء وفضاءات لإمكانات تربوية مفتوحة للولوج منها لتصويب المسيرة وتزكية النفس وتنميتها والارتقاء بها.

وفي الحديث القدسي: «... **إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً** ...» (أخرجه مسلم).. والطفل (كخلق سوي) في سنيِّه الأولى يشكل المسافة الأقرب لأصل الخلق، والإمكانية الأكبر للتزكية والوقاية من التدسية، والمحل الأكثر قابلية للفعل التربوي، والوقاية تزكية أيضاً.

والصلاة والسلام على النبي الكريم محل الأسوة والقدوة، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، الذي بين أن مسؤولية التربية والتزكية للإنسان المولود

على الفطرة منوطة بالإنسان، فقال ﷺ: « **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**» (أخرجه البخاري)؛ وكانت سيرته ﷺ أنموذجاً للاقتداء في مراحل حياته كلها، حيث تجسدت قيم الوحي ومعانيه في سلوكه، فكان خلقه القرآن، كما وصفته السيدة عائشة، رضي الله عنها.. وهل الأدب والتأديب والتربية والثقافة والتثقيف في نهاية المطاف والمقصد النهائي إلا تحويل القيم إلى سلوك ومهارات مكتسبة تتطلبها الحياة، التي خُلق الإنسان لإعمارها وفق قيم السماء، وتجسيد الفكر في الفعل؟

وبعد:

فهذا «**كتاب الأمة**» التاسع بعد المائة: «في أدب الأطفال: رؤية الحاضر.. بصيرة المستقبل» للأستاذ محمد بسام ملص، في سلسلة الكتب الثقافية، التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، في محاولاته المستمرة لاكتشاف مواطن الخلل في مسيرة الأمة، ودراسة أسبابها، وفتح أبواب الاجتهاد الفكري والمثاقفة والمدارسة والمحاورة على مصراعيها، وكسر الحاجز النفسي واسترداد عافية العقل المسلم، محل تلقي الوحي، ليمارس رسالته ووظيفته وحقه في الاجتهاد بلا خوف، بل بمزيد من التوثب والقلق (السوي) والفاعلية والدافعية واستشعار أن ذلك عبادة وتدين من الدين، وحتى

لو قاد الاجتهاد إلى الوقوع في الخطأ، فالخطأ أحد طـرق الوصـول إلى الصواب، والخطأ معفو عنه في الإسلام بشكل عام: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» (أخرجه ابن ماجـه)؛ لأن الخوف من الوقوع في الخطأ يكبل العقل، ويشل الطاقة، ويطفئ الفاعلية ، ويشيع الركود والتقليد والسقوط في التخلف.

وإذا كان الخطأ معـفواً عنه بشـكل عام، كمـا أفـاد حـديث الرسول ﷺ، فإن الإقدام على الاجتهاد والخطأ فيه مأجور صاحبه علـى جهده واجتهاده وفعله ومحاولته الوصول إلى الصواب، وليس الأجر على الخطأ، كما قد يفهم من ظاهر الحديث، وإنما على الجهد والفعل والمحاولة، ليبقى البحث عن الحقيقة والسـعي إليها والحـوار والمثاقفـة والتقـويم والمراجعة والمناصحة والنقد هي بؤرة الفاعلية ومرتكز الدافعية للبحث عن الصواب، والتحري للحقيقة هو الهاجس الدائم لكل مسلم في ميدانـه، ولعلنا نقول هنا: إن حالة التخلف والركود وشيوع التقليـد الجمـاعي والتخاذل الفكري والثقافي سببه العميق، إلى جانب الاستبداد السياسـي، ملازمه الثقافي من الإرهاب الفكري، وما يمارس من التحـريم والتـأثيم والتخطيئ لاجتهاد الإنسان.

إن الإرهاب الفكري، يعتبر الحارس القوي وغير الأمين للاسـتبداد والإرهاب السياسي بشكل عام، والإرهاب الديني بشكل أخـص، هـو

الذي عطل العقل وشل حركته وأقعده عن وظيفته، أو بشكل عام ألغى الإنسان؛ حتى شاعت في أوساطنا المتدينة شعارات محزنة هي أقرب للفزاعات المخيفة تنفر من العقل وتحذر من التفكير، فالخوف من الخطأ أطفأ الفاعلية، وجمد العقل، وعطل قيم الوحي، وأدى إلى التخلف والاستنقاع الحضاري، علماً بأن فترات النهوض والتألق والإنجاز الحضاري في تاريخنا الطويل إنما تحققت عند التقاء معرفة الوحي بمعرفة العقل.. ولا ندري ما قيمة معرفة الوحي بلا عقل، أو لمن لا عقل له، وما قيمة معرفة العقل وما فائدتها للإنسان بلا تسديد الوحي ومرجعيته وتأطيره؟!

لذلك فقد تكون الإشكالية اليوم بتوفر نصوص الوحي وقيمه ومعرفته وغياب وظيفة العقل في الاجتهاد في تنزيل هذه القيم وهذه المعرفة على الواقع وتقويمه بها، وهذه وظيفة العقل.

لذلك فالإشكالية قد تكون بوجود معرفة الوحي وغياب معرفة العقل، أو على الطرف الآخر بوجود معرفة العقل وغياب معرفة الوحي، حتى وصلت الإصابة أو الإشكالية إلى درجة أصبح من المقبول في أوساطنا الثقافية المتخلفة أو ذات الثقافة المغشوشة أن يطلق على كل من يحاول أن يسترد وظيفة العقل في النظر بقيم الوحي وكيفية تنزيلها على الواقع بأنه عقلاني أو عقلي، وكأننا نريد أو نروج لمجتمع ولإنسان لا عقل له!

ولا ندري كيف يكون تلقي الوحي بلا عقل، الـذي هـو محـل الخطاب ومحل فهم الوحي وتطبيقه والاستجابه له والاستدلال عليه وحمله ونشره وبيانه وإبلاغه وتحقيق الإقناع به والاعتناق له؟

ولعل ذلك يعتبر من مظاهر التخلف وإفرازات عقلية التخلف، الـتي تنعكس على كل شيء، وعند ذلك تتحول معرفة الوحي مـن عامـل للنهوض والارتقاء إلى سبب في تكريس التخلـف والجمـود وانطفـاء الفاعلية، حيث يحاصر العقل ويحبس بين جدران المحرم والممنوع، مع أهمية الاعتراف هنا بأن معرفة الوحي بالنسبة للمسلمين هي التي حركت العقل وحررته وحولت الأمة الأمية، إلى أمة عالمة متعلمة تنشد التعلم والارتقاء، أنتجت حضارتها، وكانت معرفة الوحي وسيلتها في الممانعة الحضـارية والثقافية والحماية لها من الذوبان، لتبقى دائماً مؤهلة، حال العودة إليهـا والاجتهاد في تنـزيلها على الواقع، لعلمية معاودة النهوض، كما يؤكـد ذلك المسيرة الحضارية وفترات النهوض.

إن معرفة الوحي، إذا أُدركت بكل أبعادها، تشكل أكبر محركـات الإمكان الحضاري الذي تمتلكه الأمة المسلمة، كما أنها تشكل المرتكـز والمحور الأساس لكل نهوض؛ وبالإمكان القول، بكل اسـتقراءٍ للتـاريخ وقراءة للواقع بشكل أمين، وبكل يقين اعتقادي يسبق هـذا الاسـتقراء وتلك القراءة: إن أية محاولة نهوض في عالم المسلمين، حاولت تجاوز معرفة

الوحي، أو لم تتمكن من إبداع الوسائل (وهي مُنْتَج العقل) للتواصل والتعامل والتفاعل معها باءت بالفشل.

وقد تكون الإشكالية في عالم المسلمين، بعدم إدراك السبب الحقيقي، الأمر الذي قاد إلى محاولات الانسلاخ من معرفة الوحي واتهامها بأنها ضد العقل والتفكير، والارتماء على (الآخر)، حيث تبدو الظاهرة المقلقة اليوم: عقل بلا وحي، ووحي بلا عقل، أو بتعبير آخر: علم بلا دين (بغي وتدمير وتسلط) ودين بلا علم (جمود وتخلف وعجز وفراغ).

وقد يكون صحيحاً إلى حد بعيد أن معرفة الوحي نزلت على الأمة الأمية التي لا تقرأ ولا تحسب، كما أشار القرآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (الجمعة:٢)، وكما بين الرسول ﷺ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ وَلا نَحْسُبُ» (أخرجه البخاري)، ومع ذلك أحسنت التلقي والتعامل مع معرفة الوحي، والتحول من الغياب إلى الفعل الحضاري، من الأمية إلى العلم والمعرفة، حيث شكلت معرفة الوحي بعثاً وإحياء وتعليماً وتربية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة:٢).

والقرآن ميسر للذكر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر:١٧)، وخطاب للناس جميعاً: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف:١٥٨)، والتفاعل معه جاء بدرجات متفاوتة.

بل لعلنا نقول: إن بقية البقية الباقية من معرفة الوحي، التي ما نزال نتحصل عليها، لا زالت تشكل لنا رؤية ودليل تعامل، على مستوى الأسرة والطفل والمرأة والجوار والمال والحكم والعبادة والمعاملة والخلق....إلخ، وأن بقية البقية من الأحكام الشرعية في تلك المجالات جميعاً ما تزال أيضاً هي القوة المانعة لنا من السقوط والانكسار الحضاري، لكن الإشكالية هي كيفية تحويل هذه القوة أو الرؤية المانعة إلى رؤية دافعة ومحرك أساس في الفعل الحضاري اليوم؟

حيث لا بد من التفريق دائماً بين الرؤية العامة، أو الثقافة العامة التي يأخذ كل منها بنصيب، وبين الرؤية الخاصة أو الثقافة الخاصة أو التخصصية، التي يضطلع بها أفراد بأعيانهم، ذلك أن الإيقاع الإسلامي عامة، في مجالات التربية والنفس والاجتماع والإنسان، هذه الشعب المعرفية الخطيرة، ما يزال عاماً عائماً بعيداً عن التخصص والإحاطة بعلم الأشياء، لذلك تأتي النتائج، غالباً ودائماً، محزنة وكليلة ومجافية للحقيقة.

فإذا كانت الثقافة هي الرحم والمناخ والرؤية التي تدفع إلى التخصص في العلم، وتحدث الفاعلية، فإنها تبقى دون القدرة على أن تحل محل العلم والتخصص، ذلك أن العلم هو الإحاطة بكل الجوانب عن الشيء المطروح، بينما الثقافة تعني المعرفة العامة والقدرة على القراءة العامة والحكم العام، الذي قد يحمي الشخصية ويحول دون الذوبان والاختراق، لكنها تبقى غير قادرة على الإبداع والإنتاج المأمول من العقل التخصصي في ضوء معرفة الوحي وما تشيعه من مناخ ثقافي سليم.

لذلك نعتقد أن حالة النهوض والإنجاز والتنمية والتجاوز تتطلب ثقافة مرجعية منطلقة من معرفة الوحي، وبرامج وخطط ومناهج منطلقة من معرفة العقل وكسبه العلمي والمعرفي، فمعرفة الوحي تشكل الدافعية والفاعلية للعقل - كما أسلفنا - ومهما انتظرنا أن تقوم الثقافة مقام العلم، بمعناه التخصصي، وتوهمنا أننا قادرون على أن نقدم برامج وخطط، دون تخصص، فإن ذلك سوف يسلمنا إلى الفشل والتخلف، وعندها تفقد الثقافة مهمتها ووظيفتها ورسالتها ودورها.

وقد تكون الإصابة الكبرى اليوم، في معظم أنشطتنا المعرفية ومشاريعنا للنهوض وردم فجوة التخلف، كامنة في الخلل بين وظيفة الثقافة المنطلقة من قيم الوحي ومعرفته، والعلم المتحقق من كسب العقل ووظيفته.. فإشكالية وضع الثقافة مكان العلم، والطلب إليها تقديم البرامج

والخطط، تماماً كوضع العلم مكان الثقافة، والطلب إليه وضع الرؤية والمرجعية والقيم والمعيار.

والوضع السليم هو في التزاوج بين الثقافة التي تقدم الرؤية والمرجعية والمنطلق وتحدد الهدف وتصنع البيئة الذهنية والمناخ الفكري، وبين العلم الذي يبصر الحقائق ويقدم البرامج ويضع الخطط ويراكم الخبرة ويقدم الحلول المناسبة للمشكلات التي تعترض الأمة.

إن هذا الخلط بين المعرفتين، معرفة الوحي ومعرفة العقل، بين الثقافة والعلم، دفع بالكثير منا إلى نوع من الجراءة في ارتياد آفاق وتقديم آراء واقتراح حلول وتقديم برامج دون أن يتوفر على القدر أو الحد الأدنى المطلوب من الكسب العلمي التخصصي، مهما كانت المشكلات المطروحة، سواء كانت أسرية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو علمية أو إعلامية أو تنموية ... إلخ، حتى أشد الإشكاليات غموضاً وتعقيداً نندفع إلى التعاطي معها دون أن ندرك أبعادها وعقدها، ومصالحها ومفاسدها، والسبب بسيط هو أننا لا نحيط بعلمها ولا نبصر مآلاتها، فهل ينطبق علينا هنا بعض آفاق قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ (يونس:٣٩)؟

وما لم نتأدب بأبسط قواعد المنطق، التي تقضي: بأن «الحكم على الشيء فرع عن تصوره» فنتوقف عن الخوض فيما لا علم لنا فيه ولا تصور

له، ونلتزم أدب المعرفة، ونعطي السهم باريها، ونعطي الخبز خبازه، فسوف تستمر رحلة التيه وعدم الجدوى في الكثير من أنشطتنا ومؤتمراتنا؛ لأنها لا تخرج عن كونها مراوحة في المكان الواحد، ومحاولة للتعامل مع المشكلة دون امتلاك الأدوات الملائمة لها أو المفاتيح الصحيحة لمغاليقها.

لذلك كله نقول: إن الإحساس بالتخلف لم يقدنا إلى إدراك أسبابه في كثير من الأحيان، وبقينا عند عتبة الإحساس والنواح والصراخ، وإن هاجس النهوض منذ زمن طويل يراودنا جميعاً ويدفعنا إلى حماسات ومحاولات دون أن تحقق على طريق النهوض شيئاً؛ حتى مفهوم النخبة أو أهل الحل والعقد، لحقت به الإصابة، وتحول هذا المصطلح أو هذا المفهوم على أيدينا إلى صورة بائسة لا تختلف فيها النخبة عن العامة، ومن يسمون بالعلماء عن الدهماء؛ لأن لكل قضية وفن ومعرفة أهل حلها وعقدها من الخبراء والمختصين، القادرين على النظر وتقليب الأمور على وجوهها جميعاً، والقيام بالمقارنات ودراسة الظروف المحيطة والإمكانات المتوفرة وبصارة المستقبل وتقديم الحلول والخطط اللازمة وعقد العزم على الفعل بعد الفكر.

فأهل الحل والعقد، أو النخبة، الذين ينصِّبون أنفسهم قادة للأمة، قد يمتلكون بعض الثقافة الإسلامية وشيئاً من علوم الأحكام الشرعية، لكنهم يجهلون الكثير من الخبرات والحقائق العلمية اللازمة للنظر في الأمر

المطروح، الذي قد يكون من أدق القضايا وأخطرها، فيتحولون إلى عبء وأهل حل وسبب في التحلل الحضاري دون أن يكونوا أهل عقد.

لذلك نرى أن النظر في إشكالية النهوض وصناعة المستقبل، أو بناء عالم الغد الذي يمثله عالم الطفل اليوم، يتطلب إضافة لما تمنحه معرفة الوحي من الرؤية الثقافية، التي تبصر الحياة بكل أبعادها وامتداداتها، والمرجعية التي تشكل المعيار والقيمة لكل أنشطة الحياة، والعين السحرية التي تراقب جودة الإنتاج وسلامته واتسامه بالمواصفات الشرعية المطلوبة قبل تسويقه، يتطلب وضع استراتيجية شاملة في المجالات المتعددة، تسبقها دراسة وتحليل للواقع، والتعرف على أسباب التخلف، وفرز الجوانب الإيجابية واعتمادها ومحاولة تنميتها والامتداد فيها، وتحديد الجوانب السلبية ومحاصرتها ومعالجة أسبابها.

ولعل أول الخطوات في ذلك تتمثل في تقويم الواقع ونقده بشكل صحيح، واعتبار ذلك من أهم مكونات الرؤية الاستراتيجية المطلوبة، ومن ثم التعرف على الإمكانات المتاحة والظروف المحيطة، والاستهداء بالتجربة التاريخية على مستوى الذات و(الآخر) معاً، واستحضار الظروف المحلية والإقليمية والدولية ومحركات العولمة اليوم وأهدافها ووسائلها ومؤثراتها، حتى لا تكون الرؤية معزولة عن بصارة العالم وتطوره وتسارعه وأثره وتأثيره.. وهذه الاستراتيجية الشاملة لمعالجة إشكالية النهوض، لها أبعاد

متعددة، وتخصصات معرفية متنوعة، واستراتيجيات متكاملة، تشكل بمجموعها الرؤية الشاملة.

ولا شك عندنا أن وضع مثل هذه الاستراتيجيات، وحسن تقدير الإمكانات المتاحة والظروف المحيطة، واستشعار المآلات، والقدرة على تقويم المراحل ومتابعتها، يتطلب مجموعة خبرات ومؤهلات علمية وأدوات تقنية.. إنه يتطلب كسباً علمياً متقدماً في شعب المعرفة جميعاً، أو في جوانب الحياة جميعاً، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية والإعلامية، بحيث تتحقق فروض الكفاية ويتحصل الاكتفاء الذاتي، إضافة إلى الخبرات العملية والميدانية، والقدرة على المتابعة والتقويم، حيث لا ينفع معها الادعاء والتطاول والحماس والشعارات والخطب الطنانة الرنانة ومجرد الحس بإشكالية التخلف دون الإدراك لأبعادها وكيفيات علاجها.

وهذا جميعه يتطلب النفرة لاستدراك التخصصات المطلوبة لبناء الحياة وإقامة العمران وإدارة العمران، أو بمعنى آخر إحياء الفروض الكفائية، والإحساس بل والتيقن بأن ذلك من مقاصد الدين وضرورياته الأساس، للوصول إلى حقبة الخبراء والعلماء، استجابة لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢)، وقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

﴿ ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ (النساء:٨٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ (فاطر:١٤)، وقوله: ﴿ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ (الفرقان:٥٩)، بحيث يتحول إدراك أهمية النفرة في التخصصات جميعاً إلى ثقافة يأخذ كل منا منها بنصيب، فلا يثق إلا بأهل الخبرة، ولا يعتمد إلا العلم، ولا يذهب إلا إلى المتخصص.

وبذلك يضيق الخناق على الحواة والمتطاولين والحكواتية، الذين لا يزيدون الأمة إلا خبالاً، إضافة إلى أهمية أن تصبح استراتيجية التنمية وبناء الغد ثقافة جماهيرية عامة، ينسلك فيها الناس جميعاً، كل من موقعه، بحيث يعرف طريقه ليضع إمكاناته وفعله في الموقع المجدي الصحيح، فتصب الجهود جميعها في المجرى العام لمسيرة الأمة.

وبالإمكان القول هنا: إن من أهم عوامل النهوض وبناء المستقبل وصناعة عالم الغد التمحور حول التربية وصناعة الأجيال القادمة بشكل سليم، استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ (طه:٣٩).. إن صناعة الغد على منهج الله، على عين الله، يتمحور بكل أبعاده حول حسن صناعة عالم الطفولة.

ونسارع إلى القول: بأن متطلبات عالم الطفولة (مجتمع الغد) بكل مكوناته ومراحله واستحقاقاته ما يزال مجهولاً بالأقدار المطلوبة في عالم المسلمين، وأن هناك قصوراً مفزعاً في التخصصات المطلوبة لعالم الطفل،

علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية، أو إن شئت فقل: العلوم الاجتماعية، حيث ما يزال الكثير منا غاية ما يراه من عالم الطفولة تأمين الغذاء والكساء، كشأن سائر المخلوقات الأخرى، وحتى الذين يحاولون دخول هذا العالم والتعامل معه فإنما يدخلونه بدون علم مسبق بالطفولة ومراحلها واستحقاقاتها في كل مرحلة، وبدون امتلاك الأدوات الصحيحة للتعامل معه، علماً بأن التعامل مع عالم الطفولة خطير وخطير جداً، فهو أشبه ما يكون بالتعامل مع المواد الخطيرة وحقول الألغام، نظراً لحساسيته الشديدة وخطورة الخطأ في التعامل معه؛ هذا بالنسبة لواقعه وتعقيداته، فإذا تقرر لدينا أن عالم الطفل يمثل مجتمع الغد كانت الخطورة أكبر، والمسؤولية أعظم؛ لأننا بذلك لا نقتصر على إصابة حاضرنا بل يمتد التقصير والجهل إلى تدمير مستقبلنا، ذلك أن الخطأ في التعامل مع عالم الطفولة والعبث به، دون دراية وعلم، سوف يشكل منبع التخلف، ويجعل منه حالة مستدامة تحكم الحاضر وتتحكم بالمستقبل.

ونحب أن نؤكد هنا أنه لولا رحمة الله بنا، وما نمتلكه من البقية الباقية في حياتنا الفكرية والثقافية من عطاء معرفة الوحي وقيمه في عالم الطفولة، التي تحمي مكونات الطفولة الأساسية، وتحدد ملامحها العامة ومراحلها الرئيسة، وتضع بعض الأحكام الشرعية في التعامل معها والمسؤولية عنها، لأصبحنا أثراً بعد عين، لكن معرفة الوحي هي سبيل الحفاظ على الإمكان

الحضاري والاحتفاظ بخميرة النهوض المستمر في عالم الطفولة ومجـــالات الحياة الأخرى.

إن عالم الطفل بكل أبعاده وفضاءاته واستحقاقـــاته أصـــبح يشـــكل علماً قائماً بذاته، تتشارك فيه الكثير من العلوم الاجتماعية: علم النفس بكل شعبه وتشعباته، وعلم التربية بكل تخصصاته واســـتطلاعاته واخـــــتباراته ومحاولات قياس عطائه ونواتجه، وعلـــم الاجتمـــاع بكـــل اســـتقراءاته واكتشافاته، إضافة إلى جميع الوسائل والأدوات التقنية التي تساهم بســـبر غور عالم الطفولة، ليأتي التعامل معه من مواقع ومنطلقات صحيحة.

ولم يعد عالم الطفولة أشبه بالصندوق الأسود تصعب معرفة دواخله وحل رموزه وشفراته وتحـــليل معلوماته واكتشاف الحقيقة التي ينطـــوي عليها، بل أصبح عالم الطفولة محلاً لكثير من الدراســـات والاختبـــارات والتحليل النفسي والاكتشـــافات، حتى بلغت محاولات هذه الدراســـات اقتحام عالم الأجـــنة ورســـم ورصد تحركاته واستجـــاباته وتحولاته، في ضوء ما تخضع له الأم من مؤثرات، إضافة إلى ما يقدمه علم الوراثة وعلم الأجنة من محـــددات وموجهات في الموضوع، ومع ذلـــك فمـــا يـــزال المجهول في هذا الفضـــاء الكبير أكبر من المعلوم، وما يزال هـــذا القفـــل المغلق يحتاج إلى تجارب الكثير من المفاتيح والتفسيرات لأنماط من السلوك لم تكن متوقعة.

وعلى الرغم مما يتمتع به عالم الطفل من الصفاء والنقاء والفطرة والنفس السوية ابتداءً والمرآة شديدة الحساسية، الخطيرة واللاقطة، بقدر ما تعظم المهمة والمسؤولية في كيفية التعامل معه، وخطورة ما يقدم له، وخطورة الخطأ في وضع البذور الغلط في تربة الطفولة.. ففي الطفولة تزرع بذور مستقبل الحياة السلوكية، كما تزرع بذور مقومات الرجولة.

لذلك فإن استسهال الدخول إلى عالم الطفولة، لمن يحسن ومن لا يحسن، ومن يعلم ومن لا يعلم، ومن يقدِّر المرحلة ودوافعها ومسالكها ومن لا يقدِّر، وممن قد يقرأ الكثير من الممارسات الطفلية خطأ فيقدم بسبب جهله على حرمان الطفل من طفولته، قد يؤدي بنا إلى تدمير عالم الطفولة بأيدينا ونحن نظن أننا نحسن صنعاً.. ذلك أن الغلط البسيط يشكل لغماً موقوتاً في داخل الطفل لا ندري متى ينفجر بصاحبه وبأهله، لذلك نرى الفشل الذريع في التعامل مع عالم الطفولة، حتى عند بعض الصالحين من الآباء والأمهات وأصحاب النوايا الحسنة؛ لأنهم إنما يجهلون عالم الطفولة ومتطلباتها واستحقاقاتها وحاجاتها في كل مرحلة، ويحاولون تركيب عقولهم وتجاربهم على رؤوس الأطفال، كالذي يحاول الإمساك بساق الشجيرة أو أوراقها الحديثة وشدها إلى الأعلى لتكبر وتثمر قبل أجلها فيقع في قطعها؛ لأنه عاجز عن أدراك سنة الأجل.

ذلك أن الكثير من التصرفات، التي قد نراها من الأطفال ونحكم عليها بأنها شاذة وغير سليمة، بسبب جهلنا عالم الطفولة ومتطلباته، تؤكد

عند أهل العلم والخبرة أن الشذوذ في غيابها وتغييبها وليس في حضورها؛ لأن الطفل بها يعبر عن نفسه وذاته ومرحلته العمرية، التي لو أدركنا أبعادها بحق لأمكننا اكتشاف مواهب الطفل وميوله واتجاهاته ومن ثم كيفية توجيهها والتعامل معها في كل المجالات والأنشطة.

إن مراقبة سلوك الطفل وردود فعله واستجاباته هي التي تمكن من حسن صناعته، وإن أية غفلة أو غياب عن الملاحظة قد يؤذن بتشكل خاص وخطورة تصعب معالجتها فيما بعد، لذلك فإن النص القرآني: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ يحمل أبعاداً ودلالات مهمة ومهمة جداً، يستدعي التفكير بكيفية الصناعة على منهج الله وتحت مراقبته ورقابته، ويستدعي التفكير بكيفية مراقبة أنفسنا وسلوكنا في التعامل معه، فقد تلتقط مرآته الحساسة في لحظة ما وغفلة منا ما يشكل شخصيته في المستقبل؛ لأن الصناعة على العين تعني استمرار المراقبة والتوجيه والمداخلة والعين المفتوحة ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ والإعداد للمهمة المترجاة.

فالطفل مخزون مخيف من الاستعدادات والانفعالات، التي تتطلب أقداراً كبيرة من الحرية حتى يعبر عن ذاته فنتعرف عليها، كما تتطلب البيئة المناسبة لإظهارها والمشاركة في تنميتها، ذلك أن التوهم بأن الأوامر الصارمة والكبت الذي يخفي الاستعدادات والانفعالات ولا يلغيها، هو تربيةٌ فيه الكثير من الجهل، كما أن الحكم على الطفل بالجهل

(جهال) وأنه مجرد محل للتلقي والتلقين والاختزان وليس محلاً للتفكير والانطلاق والمشاركة بمجازفة غير مأمونة العواقب، وإن كانت نتائجها القريبة قد تحمل الكثير من الغرر والتغرير.

إن استكناه عالم الطفل وسبر غوره يحتاج إلى الكثير من الحرية والحوار، ويخضع للكثير من المحرضات والأدوات ومراقبة المؤثرات، ليأتي التعامل من منطلق الحقيقة والعلمية والموضوعية؛ والتقدم الذي حصل في هذا الميدان عالمياً بلغ شأواً بعيداً، فلكل عمر لعبته وصورته وألوانه ومجالاته وقصصه ورواياته، ولكل لعبة هدفها ودورها... إلخ في تنمية مدركات الطفل وحواسه، وتدريبه، واكتشاف مواهبه وميوله، وليس مجرد تسالي تلغي صخب الطفل وتريح أهله منه.

ولعل الإشكالية الأكبر، قد تتمثل في وجود الإخلاص وغياب الصواب، وحتى لو انطلقت من حب الخير للأطفال، ذلك أن جهلنا بعالم الأطفال سوف يؤدي بشكل طبيعي إلى جهلنا بنوعية ومستوى ما يقدم لهم من فنون الأدب وأجناسه جميعاً، وبذلك نسيئ من حيث نريد أن نحسن، ونهدم وندمر ونقفل الطريق من حيث نريد أن نبني، وندفع بالأطفال دفعاً إلى التلقي من (الآخر) بكل ما يمتلك من فنون متنوعة واختبارات مستمرة وتطوير متسارع يستأثر بهم، ووسائل مغرية تشد الأطفال بل تسرقهم منا، بدل أن نكون متخصصين في عالم الأطفال، نقدم عطاء معرفة الوحي

ونحسن عرضها بالشكل المغري، فنكون بذلك كالذي يبني تماثيل من الثلج، ومن ثم يبكي على ذوبانها لكن بعد فوات الأوان.

ولا نخلص من المسؤولية والتبعة، ولا يكفي أن نتكلم عن الطفولة ومسؤوليتها وخطورتها وأهميتها ومستقبلها... إلخ، ونقف عند هذه الحدود دون أن يقودنا ذلك لمعرفة عالمها وتقدير حاجاته بدقة، وتقديم الإنتاج المناسب، وكيفية إشباع هذه الحاجات بالمواد وبالوسائل المناسبة.

إن قصص الخيال العلمي في مجال الطفل أنتجت علماء ومخترعين، وإن حسن تقديم سير البطولة أنتجت أبطالاً وقادة، وإن دراسة حياة الصالحين صنعت رواد صلاح نجحوا في إصلاح الأمة.

لقد بلغ الاهتمام بعالم الطفل أن يصبح الهاجس العالمي الدائم والأمل الباقي، فعلى الرغم من التقدم الكبير، علمياً وعالمياً، في رؤية عالم الطفولة من زوايا علمية متعددة ومتكاملة، مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية وعلم الأجنة وعلوم الوراثة، ومحاولة استكناه حقيقة عالم الطفولة وتتبع سيرورته، ورصد سلوك الطفل في المراحل المختلفة والبيئات المختلفة، والإنتاج العلمي والفني والأدبي الكبير، والمساحات التعبيرية الهائلة، التي تحتل المكتبات وعالم الإعلام، مع ذلك كله فإن العيون الراصدة والاختبارات المستمرة والمتنوعة وتعريض الطفل لمؤثرات متنوعة ودراسة الظواهر تكتشف كل يوم جديداً في عالم الطفل، حتى يكاد

معظم الإنتاج والاهتمام يتحول إلى عالم الطفولة؛ لأنه يمثل صناعة عالم الغد، بكل آفاقه وأبعاده، ذلك أن هذا العالم ما يزال يمثل سراً عميقاً ومتداخلاً يتطلب كبار المفكرين والعلماء والباحثين والأدباء والروائيين ومنتجي الصور والأفلام والألبسة ومهندسي الألوان التي تتناسب مع المضمون وتحقق الأهداف المطلوبة.

وقد لا نستغرب، على الصورة المقابلة، أن يكون الكثير من إنتاجنا الثقافي لعالم الطفل يمثل التقليد والمحاكاة والمقاربة والنقل بلا وعي ولا معيار؛ ومن أين يتأتى لنا امتلاك المعيار الفاحص للإنتاج واختبار مدى ملاءمته عندما نفتقد الاختصاص وتقديم الصناعة الثقافية والتربوية الرشيدة، وعندما تتحول معرفة الوحي في هذا المجال، في ذهنيتنا المتخلفة، إلى محل تبرك وليس إلى باعث رؤية واكتشاف وعطاء، كذلك لا نستغرب عندما نرى أطفالنا يعزفون عن إنتاجنا ويلتصقون بإنتاج (الآخر)، بغثّه وسمينه، ولا يردعهم عن ذلك إلا الزجر والقهر والإكراه والمنع الذي قد يزيدهم تعلقاً، تحت شعار: «كل ممنوع مرغوب».

فإذا كان المطلوب شرعاً أن نخاطب الراشدين والكبار على قدر عقولهم حتى لا يكذب الله ورسوله، نتيجة لسوء تقديرنا، فكيف بعالم الطفولة الصامت، الذي يدخله كل من شاء بما شاء، ذلك أن كثيراً من العلماء والفقهاء والأدباء والكتاب، على فضلهم وعلمهم، وأصحاب

العبارات والأساليب الصارمة والدقيقة، يقتحمون هذا العالم الخطير والدقيق بدون أدوات ملائمة أو صحيحة، ويقدمون للأطفال مضامين وأساليب قد تتجاوز عمرهم العقلي وقدرتهم على الاستيعاب ومفرداتهم اللغوية، التي قد تساهم بتعقيدهم؛ حتى قصص الأنبياء والأعلام، على كل الخير الذي تحتويه، فإن تقديمها للأطفال يتطلب مهارة معينة وسوية معينة في الأسلوب والتناول واختيار جوانب ومحطات بعينها من سير الأعلام وتسليط الضوء عليها، وتأجيل بعضها الآخر لعمر عقلي قادم، وتحقيق الرواء النفسي والذهني للطفل.

هذا عدا عن الأسلوب وخطورته، فالكتابة للأطفال قد لا يحسنه الفقيه والمفسر والأصولي والمحدث بطبيعة أدواته وأسلوبه ومصطلحاته؛ لقد أصبح اختصاصاً قائماً بذاته وله مقوماته وأدواته ومحركاته الذهنية والخيالية.. وإن كانت ثقافة التعامل مع الطفل مطلوبة منا جميعاً، لأننا جميعاً، آباء وأمهات وأخوة وأخوات، نعيش عالم الطفولة ونتعامل معه، إلا أن الكتابة للطفل وبناء ثقافة الكبار تجاه الطفل فن له مواصفاته الخاصة، ليأتي التعامل صحيحاً، فالتعامل مع الأطفال علم وفن معاً، وتشارك في التأهيل له عدة علوم وفنون، وإلا سوف يُسرق أطفالنا منا، ويصنعون على عين غيرنا، في أكثر من مصنع، وليس ذلك عن نقص كفاءة وأهلية وإنما عن فوضى فكرية وغياب اختصاص وتأخر العمل النقدي لما يقدم

للأطفال، على مستوى المضمون والتناول والأسلوب والتناسب، وعدم التقدير الدقيق لهذا العالم التي يمثل الأمل والمستقبل حتى ولو انكسر الحاضر.

إنها الفوضى التي يورثها التخلف، والتي تضيع معها الرؤية، وتطيش فيها السهام، ويكثر فيها الادعاء، فنقول كثيراً ونعمل قليلاً، ونقول بما لا نعلم، فنزداد ارتكاساً، وننظر للأمور بذهنية الاستسهال، لعجزنا عن إدراك العواقب والمآلات، فنقع في الحفرة تلو الأخرى، التي نحفرها بأيدينا، ويتحول أطفالنا ليشكلوا رصيداً (للآخر) ممتداً في فراغنا وحياتنا.

ونحن هنا لا نطالب بإدخال الأطفال الغرف المعقمة وعزلهم عن الحركة العالمية لأدب الطفل وثقافة الطفل، وعدم تأهيلهم لمجتمعهم بكل ما فيه، وإنما المطلوب أن نمتلك الرؤية والقدرة على تأهيل الطفل لمجتمعه، وكيفية التعامل معه، ونرسم مستقبلنا من خلال هذا العالم، ونبصر دورنا فيه، ونحضر أطفالنا ليكونوا رسلنا وحملة قيمنا إلى العالم جميعه في عالم الغد.

إن الأطفال مجتمع المستقبل، هم الأمل الباقي والأفق المنظور للتفاؤل والتحريض على تحضير أدوات سليمة للبناء الصحيح، ففي لحظة أمل، ولا أقول لحظة يأس، حيث اشتدت وطأة الحاضر وجاء الحصار من كل جانب، قال الرسول ﷺ: « **أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** » (أخرجه البخاري)، فهل يكون المسلم اليوم في مستوى مقولة النبوة ومتطلبات العصر؟

وهذا الكتاب يعتبر إلى حدٍ بعيد رؤية نقدية ودعوة للمراجعة والتقويم والفحص والاختبار لما يملأ الساحة من أدب الأطفال، على المستوى العربي، أو على المستوى الإسلامي، وخاصة في مجال القصص والسير والأعلام وأدب الطفل بشكل عام، سواء من حيث الشكل أو المضمون، ومحاولة لإلقاء أضواء كاشفة على مستقبل أدب الأطفال، والتدليل على أهميته في بناء مستقبل الأمة، ودعوة إلى حسن صناعته وفق منهجية واضحة وأدوات ملائمة تمكّن الاغتراف من معرفة الوحي، وتحقق استرداد الفاعلية، وتقديم أدب أطفال متميز، ينطلق من مرجعية الأمة ويغرس قيمها في النفس ويحقق استقامة السلوك، بحيث يتحول الفكر إلى فعل، والإيمان إلى حركة، وتسترد الأمة الرحمة الغائبة، التي من أجلها جاءت الرسالة الإسلامية، وتشيعها على مستوى الذات و(الآخر).

ذلك أن الاستمرار في حالة العجز عن التغيير والارتقاء فيما نقدم، يعني أن هناك خللاً ما أو عطباً ما في وسائلنا لا بد من كشفه ودراسة سببه، وهذا يتطلب علماء وكتّاباً ومفكرين متخصصين يمتلكون أدوات النقد الصحيحة، كما يمتلكون القدرة والبصيرة على الخوض في أدق وأخطر المسائل النفسية والتربوية، والإفادة من تجارب (الآخر)، ليخلصوا منها إلى وسائل سليمة، تتحول إلى ثقافة اجتماعية في الأمة، حتى نتمكن من بلوغ المستقبل المأمول.

والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

الحمد لله نستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شــرور أنفسنا ومن ســيئات أعمــالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

وبعد، فإن الأدب سمــي أدباً لأنه يــأدب النــاس إلى المحامــد، وينهاهم عن المقــابح[1]، وإذا كان مما يلتزم به الأديب فــإن الأمــر يستقيم، ويصــبح الأدب أداة تربية وتحصين وبناء، فإنه غير معــزول عن ثقافة الأمــة، وفي حديثنا عن أدب الأطفال نتحــدث عــن أدب يحمل قيم هذه الأمــة؛ لأنه أدب التربية والفعــل المنشـــود لأولاد الأمة، هؤلاء الأولاد، فلــذات أكبادنا، هم المســتقبل، شئنا أم أبينا، وهم الرجاء.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م)١/٢٠٦.

فهل استطاع الأدب الموجه لهم أن يكون عامل بناء في تكوينهم ؟

وهل تمكن من أن يحوّل هذه البراعم إلى أشجار ضاربة الجذور في أعماق أمتها، بحيث تكون سداً منيعاً لمواجهة العواصف، وما أكثرها! وهي تعصف بكيان الأمة.

ولعل الواقع الذي نعيشه يشكل هزة شديدة تضعنا أمام تحديات، فهل تستطيع الأمة في غدها القريب والبعيد أن تكون على مستوى هذه الهزات، فلا تفقد ثمارها الطيبة، وتسعى إلى الخلاص من كل ما هو فاسد، فلا يصل الفساد إلى الجذور، حتى تبقى الثمار زكية؟

نسأل الله أن يكون هذا، بالفعل والفعل والفعل.

الفصل الأول
واقع أدب الأطفال

لا يشمل الأدب في هذه الدراسة الحكاية والقصة والرواية والأنشودة والمسرحية، وما تتضمن من موضوعات خيالية أو واقعية، وإنما يتناول ما كتب للأطفال من موضوعات تشمل قصص القرآن، ومنه قصص الأنبياء والرسل، والسيرة النبوية وسير الصحابة والتاريخ الإسلامي.

هذه قُدمت، وما تزال تُقدم، للأطفال في أوعية معرفية متعددة مثل الكتاب والمجلة وأشرطة السينما والفيديو والأعمال التلفازية، إضافة إلى الأقراص المدمجة وما يقدم عبر الحاسوب وعبر شبكة المعلومات الدولية، ضمن القصة والمسرحية والأنشودة والمقالة، وتقتصر هذه الدراسة على الكتاب فقط من بين تلك الأوعية، لأنه ما زال الأكثر وفرة من حيث الإنتاج في هذه الموضوعات.

تقودنا القراءة الواعية لما كتب للأطفال على اختلاف مراحلهم العمرية إلى وقفة تأمل لا بد منها، في سبيل النظر بعين ناقدة فاحصة إلى مئات بل آلاف الكتب التي تقع بين أيدي أولاد الأمة، يقرأون ما فيها،

فتترك أثرها عليهم، وقد يكون الأثر إيجابياً وقد يكون سلبياً، بحسب ما حوت، ولا شك أن اهتمام دور النشر في إخراج هذه الكتب بصورة مشوقة جذابة مع العناية الكبيرة بالمواد التوضيحية من صور ورسومات وغيرها، هذا الاهتمام يدفع الأطفال إلى القراءة، وإن كان على نطاق محدود بسبب تأثير وسائل المعرفة الأخرى، المسموعة منها والمرئية، ولا نريد من هذه الدراسة الحديث عن واقع قراءة أولاد الأمة وموقفهم من الكتاب، وأثر الكبار على هذا، وقوة وسائل المعرفة الأخرى، فهذا وحده يتطلب دراسات للوقوف على واقع هذه الحال، وقد كتبت دراسات حول هذا، وارتفعت أصوات المربين، وما تزال ترتفع، في هذه المسألة التي نعتبرها شديدة الخطورة في مجال التربية.

الموضوع إذاً يتعرض لمحتوى الكتب المنتشرة في مكتبات الأطفال والمراكز الثقافية والتعليمية وفي البيوت والمكتبات التجارية، وأثر هذا المحتوى على الأطفال، ولن يتم الحديث عن أمور الأشكال الأدبية واللغة والمفردات الخاصة بكل مرحلة عمرية، فالمقام لا يتسع لهذا كله رغم أهميته.

لا مغالاة ولا مبالغة في القول: بأن الثقافة بمفهومها الشامل تشكل الطفل على جميع المستويات، العقلية والفكرية والخلقية والسلوكية والاجتماعية، فهي تعمل على صياغته وفق ما يراد له.. والثقافة سلاح

شديد المضاء، وحيث إنها تهتم اهتماماً بالغاً بالعقل والفكر والاتجاه والميل والمعرفة[1]، وجب اعتبارها الوسيلة الأكثر تأثيراً في مجال التربية، بالمفهوم الواسع الشامل الذي يهدف إلى تنمية شخصية الإنسان[2].

إن أدب الأطفال ليس بمنأى عن هذا كله، فإنه يمثل جانباً كبيراً من الثقافة، وأثره على الطفل لا شك عميق يتغلغل في نفسه وعقله وقلبه، وخاصة أنه يتم طوعاً، وكتاب الأطفال في هذا الجانب يعتبر أكثر قبولاً عند الطفل من الكتاب المدرسي. فالواقع التعليمي يشير إلى أن الكتاب المدرسي ينتهي دوره بانتهاء المدة الدراسية الخاصة به، وهي عام أو نصف عام، وهو يشكل عبئاً على الطفل أكثر مما يكون مساعداً مسانداً له يعينه ويرشده وينمي قدراته ويفتح أمامه الآفاق، وهذ جزء من واقع تعليمي تعيشه ديار الإسلام يتطلب وقفات تأمل ومواجهة ودراسة، في حين أن الكتاب غير التعليمي الذي نحن بصدد الحديث عن محتواه يكون أكثر قبولاً وأشد تأثيراً، فالطفل يقبل عليه باختياره، يقرأه ويعيش مع مضمونه خارج الإطار التعليمي الإلزامي، الذي يحتاج كما قلنا إلى تقويم وتصويب وتفعيل.

---

(١) سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي الإسلامي (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٤م) ص ١١٣ .

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٣.

لقد شهد كتاب الأطفال حضوراً بارزاً في ثقافة الطفل، رغم المنافسة الشديدة التي يواجهها أمام أوعية المعرفة الأخرى التي تكاد تبعد الطفل عنه. ومع ذلك بقي له أثر، وقد تنبهت مؤسسات في أرجاء الديار إلى وضعه وتراجع الاهتمام به في العقدين الأخيرين، فعملت على تفعيل دوره في حياة الأطفال، وخصصت جوائز له، وإن كانت الجهود قليلة، وتتعثر الخطوات بعد ركض في هذا المجال، ثم تقف.

ومن الضروري في هذه الوقفة تناول قضية النشر، فهي قضية ذات أبعاد مؤثرة في مجال أدب الأطفال، ويكمن أثرها الفعلي والخطير في أن ناشرين يدعون كتاباً للكتابة في موضوعات معينة ضمن سلاسل محددة، فالناشر، إلا من رحم ربي، صاحب القول الفصل في كثير مما ينشر، فهو يختاره من منظور تجاري بحت، وعادة ما يتدخل باقتراح الاستكتاب في موضوعات يعتبرها سريعة الرواج لأنها مطلوبة في السوق[1]. وظهرت تبعاً لذلك مجموعة سلاسل تحمل عناوين مختلفة في قصص القرآن وقصص الأنبياء والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وأعلامه، وتعتمد اعتماداً كبيراً على سهولة التناول تبعاً لسهولة السعر وبساطة الكلفة، وهذه السهولة تأتي ضمن عجلة التسرع، فالناشر في عجلة من أمره، يطرح في السوق

---

(١) بشير الهاشمي، واقع الكتاب في السبعينات وآفاقه في الثمانينات، المجلة العربية للثقافة، ع ٤، م ٣، آذار ١٩٨٣م، ص ١٨.

بضاعة حتى يجني أكبر قدر من الأرباح، وغالباً ما يتعامل مع كتاب يستطيعون أن يلبوا رغباته دون النظر إلى أية تخصصات أو قدرات فكرية وأدبية وفنية، فتأتي الأعمال ضعيفة ومبتورة[1]، ناهيك عن كونها تحمل من الأخطاء التاريخية والفكرية الشيء الكثير، وقد لا يدرك الناس وسط هذه الزحمة التجارية ولغة السوق حقيقة ما تقدم تلك السلاسل من عجائب وغرائب تترك آثارها السلبية على قرائها الصغار.

إن رغبة الناشرين هذه وتلهفهم على تحقيق أكبر قدر من الربحية قد دفعت كتاباً ومؤلفين ومعدين، إلا من رحم ربي، إلى خوض غمار نزالات ثقافية لا يملكون أدواتها الحقيقية، ولا يستطيعون بالتالي أن يكونوا مؤثرين التأثير المرجو، بل على العكس من ذلك فإن التأثير يشكل خطراً كبيراً على تكوين أولاد الأمة، وغدا الأمر بالنسبة لهم مجرد تدوين صفحات دون التفكر حقيقة فيما تحمل من قيم وأفكار وما تبثّ من مفهومات.

ترى جمهرة من الكتّاب يغوصون في «مراجع» عن الموضوعات مدار الدراسة، وغيرها أيضاً، يأخذون منها الغث والسمين، وربما لم يدركوا

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٨ .

ما يمكن للغث من أن يتركه من آثار جسيمة طالما أنهم ينقلون دون تبصر بما يفعلون، ودون تمحيص وتدقيق، وتبرز مشكلة أمامهم لا يستطيعون لها حلاً، لأنهم في الأصل لم يفكروا بها وهم عاكفون على النقل والتدوين وتسويد الصفحات، فليس هناك تأمل فيما في المراجع من خير أو غيره، وليس هناك وعي كاف بما يمكن لهذا أن يعمل في الأولاد، فتأتي العملية من حاطبي ليل يكتبون وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً.

وإذا ما انتقلنا إلى الناشرين نجد أنهم يقدمون على نشر ما يقع بأيديهم من صفحات، في غياب القدرة على التمييز بين ما هو صحيح وما هو غير ذلك، وما هو حق وما هو باطل، وهم يملكون زمام النشر وأدواته ولا يملكون ملكات النقد الحقيقية، إلا من رحم الله، ولا يكترثون لما هم مقدمون عليه، وربما لم يدركوا أنهم، مع الكتّاب، يشكلون جوانب من المستقبل بكل معطياته، فالطفل هو المستقبل.

وإذا ما تشكل الطفل على هذه الشاكلة فإنه سيكون طفلاً منزوعاً من جذوره الحقيقية وثقافته الأصيلة، فيفتقر إلى أبسط أمور التعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي كما هو التعامل المنشود، ويغدو ميراث الأمة عنده طرائف وغرائب وحكايات يلجأ إليها من باب الفضول والتسلية.

ولعل الخطورة تتعاظم، وتتزايد الظلمات في الأفق القريب والبعيد إذا ما نظرنا نظرة واعية ودقيقة إلى مجريات الواقع في حياتنا اليوم، فإنها في أصولها تعود إلى النمط الذي يسعى (الآخر) إلى فرضه بعيداً عن النموذج الإسلامي المرجو، الذي تربى عليه علماء الأمة عبر قرون طويلة، وكانت النتيجة إنجازات علمية شاء الله تعالى أن تنتصر وتنتشر لأنها اتصلت بالحق.

وحديثنا عن النمط الغريب المشوه هو حديث عن طفل اليوم وهو يتعرّف إلى الإسلام ضمن منظومة تعليمية تربوية تلزمه أن يتعامل مع موضوعات الحياة في إطار الدنيوية التي يعيشها (الآخر)، فنرى الطفل يبتعد خطوة خطوة عن الإسلام وقيمه في كافة مناحي الحياة، في البيت والمدرسة والشارع وفي وسائل الإعلام والاتصال، وما ابتكر فيها من تقنيات تبدو مذهلة تكاد تسيطر على الإنسان وتهيمن على حياته.

إن الاتجاه العام، في البيت والمدرسة والشارع ووسائل الإعلام المتعددة، ينحو منحى النمط التغريبي الذي فرض عليه، فالطفل يعيش كثيراً مع قيم (الآخر) ولها، والكبار مفتونون بذلك النموذج الدخيل، يرون أن الأطفال لن يستطيعوا أن يحققوا النجاح في حياتهم ما لم يتبنوا ذلك النموذج، فإنه النموذج الأكثر تألقاً ونجاحاً وكسباً كما تظهر شاشات التلفاز صبح مساء. ولأن (الآخر) يبدو أكثر تقدماً وعلماً وثراءً

ورغداً، كما يظن الكبار، وجب اتباعه حتى يكون لأطفال الأمة قدم ثابتة في المستقبل.

لقد ارتضى الكبار من أبناء هـــذه الأمة أن تكون تربية (الآخر) هي ما يريدون أن ينشأ عليها أولاد الأمة، في إطـــار الافتتـــان والإعجـــاب (بالآخر)، وهم لذلك يسعون بكل ما أوتوا من قوة وعزم إلى فرضها.

ولا ندهش كثيراً عندما نواجه مؤسسات ثقافية واجتماعية وصـــحية ذات نشاطـــات متعـــددة موجهة للوالدين والطفـــل تتلقى دعماً مباشراً من (الآخر) بحجـــة التعاون ودعم مشـــاريع التنمية الإنســـانية والثقافيـــة الخاصة بالأسرة، ولكن هذا الدعم مشروط بما يريد (الآخر) لهذه الأمة وهو يشكل اختراقاً عنيفاً لبنيان الأمة على أمل تغيير منهج حياتها، حتى يرضى : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة : ١٢٠)، فمن ذلك يطرح (الآخر) موضوع النسل ويحذر الأمة من خطـــر تفاقمـــه محتجاً بقلة الموارد المحدودة في ديار الإسلام وفي العالم قاطبة(١).

ويتلع كثير من المسلمين هذا الطعم الخبيث وهم يعيشون حـــال الفقر والعوز، وما عرفوا أن المشكلة لا تتمثل في قلة الموارد، كما يـــزعم (الآخر)، وإنما في استثمارها وتوزيعها، وما عرفوا أن ديار الإسلام تحتوي

---

(١) ينظر على سبيل المثال: عبد القادر الطرابلسي، أضواء على مشكلة الغذاء بالمنطقـــة العربية الإسلامية (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م) .

من الخيرات ما يكفي أهلها، بل وتفيض عن حاجاتهم، ويغيب عنهم الإيمان الحقيقي بالله الرزاق العليم، وتفوتهم قضية الأمة القوية القادرة بعددها وعدتها إن أخذت بالأسباب وأعدت القوة الحقيقية للبناء والاستخلاف.

وأطفال الأمة ليسوا بمعزولين عن هذه المسألة ومسائل كثيرة، وقد زالت كثير من الحواجز بين الكبار والصغار، ويتلقى الأولاد الطعم كذلك وهم يسمعون (الآخر) يقول إنهم المستقبل وإن على الكبار أن يحددوا النسل حتى لا يشكل عبئاً على هذا المستقبل، وبذلك يرضون بحلول (الآخر) الجاهزة.

كذلك تعمل مؤسسات ثقافية تربوية وتعليمية في بعض أرجاء ديار الإسلام وتتلقى دعماً مباشراً من (الآخر) على فرض مسألة الاختلاط، ضمن رؤيته هو، وتزينها للأولاد عن طريق استخدام وسائل ثقافية مؤثرة مثل النشاطات التمثيلية الحية أو المتلفزة والنشرات المتعددة التي تروّج لهذه المسألة وتظهرها بمظهر حضاري راق، وتكون المحصلة نزع الأولاد من جذورهم، حتى يكون المستقبل (للآخر) وليس للأمة.

ويتمثل الجانب الثالث من جوانب فرض قيم (الآخر) في التربية عن طريق المؤسسات التعليمية المختلفة المنتشرة بكثرة في أرجاء الديار، فينشأ كثير من الأولاد ويتربون وفق مفهومات (الآخر) ومنهج حياته، وحتى

لا يقال بأنهم بعيدون عن «تراثهم» لا بأس عليهم في أن يتعرفوا في كتبهم المدرسية إلى سور من القرآن الكريم، وأخبار من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ولكن هذا لا يكون إلا ضمن مواد تعليمية مكثفة تفرض عليهم واقع (الآخر) وتزينه لهم وتدعوهم لمعايشته فيفعلون، وهم يرون ويسمعون ليل نهار مزاعم عن تأخر أمتهم الفقيرة الجاهلة التي تنتمي إلى العالم الثالث، المثخنة بالجروح، المضرجة بالدماء، جروح التاريخ الإسلامي، ماضيه وحاضره، وتكون النتيجة لصالح (الآخر) وقد أعدهم الإعداد المطلوب ليتبعوه، فيصدق فيهم قول الرسول ﷺ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ.. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ ؟**» [١].

وهنا نتحدث عن دفع قضاء بقضاء، وعن دور تلك الطائفة من الأمة القائمة على الحق التي تسعى جاهدة لمواجهة خطط (الآخر) ودفعها حتى يكون الأولاد أملاً حقيقياً لهذه الأمة، فيدركون أن التخلف الحقيقي ليس وثيق الصلة بالتقدم المادي، كما يزعم الآخرون، وإنما هو ناجم عن ابتعاد الأمة عن الإسلام وتطبيق قيمه على أرض الواقع، لأن الإعراض عن هذا

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم (القاهرة: مطابع الشعب، ١٩٥٨م) ٩/١٢٦- ١٢٧.

ينجم عنه الضنك الذي حـذرنا الله عز وجل منه في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طـه: ١٢٤)، فالضنك هو القلق والحيرة والضلال، والتقدم المادي مطلوب للأمة للأخذ بأسباب الحياة، ولكن دون أن تتخلى عن قيمها، وهي مرتكزات حياتها.

إن دفع أولادنا إلى المضي وراء (الآخر) إنما يتم عن طريق أمور يرتكبها الكبار في حقهم دون أن يقدّروا عواقب نتائج ما يقدمون عليه، ومن ذلك الأدب الموجه لهم، ففي حالات عديدة يتم تناول قضايا دقيقة ومهمة تتعلق بالعقيدة والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي على وجه الخصوص، هذا إذا لم تذكر قضايا أخرى معاصرة، في كثير منها ابتعاد عن روح الإسلام وثوابته؛ في هذه القضايا ذات الأثر المهم في تكوينهم، تتغلغل المجازفات والأخطاء والمغالطات والمفتريات.

وإن سأل سائل عن هذه يقال له: بأنها توجد في كتب التراث، وأن عليه أن يقرأ تلك الكتب حتى يتبين له الأمر، ويتم الدفاع المستميت عن تلك الكتب المعاصرة بين أيدي أولادنا بحجة أن ما حوت من أمور إنما هو موجود فيما دونه المؤرخون، وأن العمل في تلك الكتب إنما كان تبسيطاً له حتى يتمكن الأولاد من قراءته.

وإذا ما تم التسليم بحسن النوايا فيما يكتب في هذه الكتب، فإن الأخطاء الكثيرة المبثوثة فيها لا تحول دون أن يتأثر بها الأولاد تأثراً له عواقبه الخطيرة، ليس عليهم وحدهم، بل على الأمة بأسرها. فإن حسن النية لا بد أن يترافق مع الإخلاص في العمل وإتقانه، ناهيك عن أمر التخصص والتمكن من القضايا التي يحيط بها الكاتب، فنحن في أدب الأطفال أمام عمل يتطلب أعلى درجات الموضوعية والعلمية.

كذلك يتطلب تقديراً واهتماماً شديداً لا يقل عن الأمانة العلمية، ومع هذا وذاك يتوجب على هذا الأدب عدم الإيغال في بيان العثرات والأخطاء والسقطات، بل أن تذكر ضمن شروط خاصة بالتوجه للأولاد للعبرة ولبيان أنها إنما كانت نتيجة للانحراف عن جادة الصواب.

إن ذكر السقطات في مسير هذه الأمة لا يكون على منهج كثير من المستشرقين والمستغربين الذين يكيدون لهذه الأمة وثقافتها، وإنما يكون باتباع منهج علمائنا الحريصين على هذه الأمة، الأوفياء لإسهاماتها، وهذا يعني علماً وفيراً به. ألم نقل إن الكتابة في أدب الأطفال هي علم ودراية وإتقان وإخلاص وثبات على الحق، انطلاقاً من دين الحق، الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده ؟

لقد وجه (الآخر) أسلحته الفكرية لينال من هذه الأمة، بعد أن أدرك بحكم عمله الدؤوب المتواصل أن المواجهات العسكرية لا تجدي نفعاً، ونرجو ألا يتهمنا امرؤ بعقدة «المؤامرة» التي تسيطر علينا، كما يقال، وأنها سيف قد سلطناه نحن فوق أعناقنا حتى نركن إلى ضعفنا ونحتج بتخاذلنا وتقاعسنا عن المواجهة، وكأننا بذلك قد رضينا بما نحن عليه من هوان وذل وخضوع وتخاذل، فالغزو قائم بأشكاله المتعددة، والقرآن الكريم خير شاهد عليه حتى تقوم الساعة : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة: ١٢٠).

فالآخرون غير راضين عنا أبداً، يسعون ما وسعهم المكر لتحويلنا عن الإسلام؛ والتحويل هذا ليس بالضرورة أن يكون ردة، والعياذ بالله، فقد يكون تشكيكاً بالإسلام ونفوراً منه وتراجعاً عن الالتزام بأحكامه، وأبلغ أثر لهذا التراجع نلمسه عند أولاد الأمة، إلا من رحم الله، وهم يعيشون حالة من الضياع والتشتت وشدة الإعجاب (بالآخر) عن طريق سلوك منهجه، وهم لا يشعرون بخطورة ما يجري في حياتهم، فالكبار قد تراخوا في مسألة التأثيرات الخارجية الخطيرة التي تخترق حياتهم وتترك أثرها الكبير على حياة الأطفال في كافة مناحي الحياة، لا سيما الفكرية منها.

إن ثقافة أولاد الأمة، لا سيما أدبهم، تتعرض لمحاولات هيمنة (الآخر)، (فالآخر) يستخدم أكثر الأسلحة الثقافية تأثيراً وقد دخلت بيت المسلم، ووقف إزاءها مذهولاً يحاول أن يستفيق من ذهوله ليواجهها بوسائله، وقد يستسلم في نهاية الأمر لضعفه، لتصبح الأمة فريسة للتغريب.

ويؤتي هذا التغريب أكله مع الأطفال بكافة مراحلهم العمرية؛ لأنهم الأكثر تأثراً، وهم جيل التغيير والتطلع إليه[1]، ولكن التغيير هنا يأخذ مساراً غير المسار الخيّر.

لقد قيل كثيراً عن أمر الغزو الثقافي، والمهم إيجاد آليات لمواجهته، وهذا لا يكون بين ليلة وضحاها، وإنما يكون عن طريق تربية شاملة تملك وسائل التحصين الضرورية حتى يتأهل الأولاد للفعل الحضاري، وهو فعل يومي تترسخ فيه اللبنات في البناء عن طريق الجهد والبذل والإيثار والإخلاص وإتقان العمل وتحصيل العلم النافع ضمن ثوابت الإسلام.

ومن آليات التربية النافعة، بمعناها الصحيح والشامل، أدب الأطفال.. فهذا من شأنه أن يؤدب الطفل وينشئه النشأة الطيبة المرجوة إن استخدم

---

(١) مصطفى حجازي.. وآخرون، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة (الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩٠م) ص ٧٩ – ٨٠ .

استخداماً خيراً، ولا نتطرق في هذه الدراسة إلى الشكل في هـــذا الأدب على اعتبار أنه الوعاء الذي يحضن الفكر، ومن دون الشـــكل يتحـــول الأدب إلى خطب وعظية تثقل على المتلقي لا سيما عنـــدما يتوجـــه إلى قلوب وعقول غضة تتطلب أموراً غاية في الفطنة والجمال حـــتى تصـــل إليها. إننا لا نتناول في هذا المقام الشكل رغم أهميته وهو يتلاحم تلاحمـــاً عضوياً مع الفكر، بل نتناول أمر المضمون في الأدب، من باب تبســـيط المسألة ليس أكثر.

الأدب في أفضل صوره يرتقي بالإنسان ويسهم إســـهاماً كـــبيراً في تربيته، فلا عجب أن يسمى أدباً وهو يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وغايته في إطار تربية أولاد الأمة دعوتهم إلى الفضائل ومحاســـن الأخلاق والأعمال الصالحة، وتنبيههم إلى تجنب الشر بكافـــة أنواعـــه، ومجاهدة النفس للابتعاد عن المعاصي.

ويتعاظم دور الأدب عندما يتعلق الأمر بقصص القرآن ومنها قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام، وعندما يتناول السيرة النبويـــة والتـــاريخ الإســـلامي. وهنا قضية لابد أن تثار، فإن كثيراً مما يـــدون في كتـــب الأطفـــال عن هذه الموضـــوعات إنما يصب في مجرى ما يكتبه (الآخر) وما اهتم به الاستشراق الذي عمل طوال عقود عديدة على دخول حصون

الأمة الفكرية لتصبح الساحة الفكرية ميدان المعركة بينه وبين الإسلام[1].

وإذا ما أدركنا حقيقة الاستشراق عرفنا الخطر الداهم الذي يحيق بالأمة، فهو كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية التي تقدم المدد للتنصير والاستعمار والعمالة الثقافية ويغذي عملية الصراع الفكري، إنه المصنع الفكري الذي يزود (الآخر) بالمدد لاختراق بنيان الأمة والعمل على تحطيمه[2].

لقد أمدّ إنتاج الاستشراق هذا بعض أبناء الأمة بالزاد وهم يظنون أنه الزاد الملائم والمناسب للأمة، مدفوعين بذلك بفتنتهم (بالآخر) وما يقدمه في مجال تراث الأمة، واستمر عمل أولئك الأبناء عقوداً أيضاً وهم يتغذون فكرياً من موائد الاستشراق حباً لهذا الوافد الفكري الذي اعتبروه عظيم الشأن لأنه قد كشف لهم عن كنوز أجدادهم، وتغافلوا عن حقيقته، وتجاهلوا أمره وقد زيّن لهم أنه يريد أن يوقظهم من غفلتهم ومن رقادهم الفكري. وكانت النتيجة تصويب السهام القاتلة إلى كثير من جوانب هذا الميراث، وبذلك تحقق للاستشراق هدفه الرئيس وهو التشكيك به وازدراؤه؛ لأنه على حد زعمهم فاسد باطل يقوم على كل ما يمكن للنفس البشرية أن تفكر فيه من شر.

---

(١) عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، مقدمة عمر عبيد حسنه (الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١هـ) ص ٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٨ – ٩.

وبقيت كتب أبناء الأمة التي تعتمد أساساً على مناهج الاستشراق الفاسدة في معظمها منارات لمن أتى بعدهم من الأجيال، ومنهم من يكتبون في أدب الأطفال، وقد لجأ هؤلاء إلى تلك الكتب «المراجع» يقرأونها ويدونون منها ما شاء لهم، دون نظرة نقدية واعية موضوعية لما تضم من مفهومات ومغالطات بمنأى عن كتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، و لم يدركوا خطورة ما أقدموا عليه في توجههم لأولاد الأمة، أي مستقبلها.

ومحصلة هذا أن ما يدون في كتب الأطفال من تلك الموضوعات إنما يصب في مجرى الغزو الثقافي الذي تتعرض له الأمة من الخارج والداخل. وهنا مسألة تذكر وهي أن طفل اليوم يعيش واقعاً أكثر انفتاحاً مما كان يعيش طفل الأمس، فإن طفل اليوم يتعرض لحشد هائل من المعارف والأفكار والقيم من خلال ما يرى ويسمع عبر الفضائيات التلفازية التي تبث نهاراً وليلاً وعبر شبكة المعلومات الدولية وغير ذلك، ولا سبيل إلى منع ذلك أو ضبطه في إطار التربية المرجوة بسبب تقصير كبير من البيت والمدرسة والشارع، وهذا مؤشر من مؤشرات ضياع الأمة وعدم قدرتها على ضبط الأمور في كافة مناحي حياتها بما يرضي الله.

أولاد الأمة معرضون إذاً للاحتواء ضمن ثقافة (الآخر) من جهة، والانسلاخ عن قيم أمتهم من جهة أخرى، فليس أمامهم متسع ليتعرفوا إلى ثقافتهم الأصيلة، وثقافة (الآخر) تضخ في كل دقيقة من دقائق اليوم مفهومات مخالفة لما يجب أن ينشأوا عليه، وليس أمامهم أسوة يقتدون بها، والبيت يعمل ولكن بقدر قليل إن كان يمتلك مقومات التوجه والتربية الصحيحة، والمدرسة مقصرة، والشارع تائه، وأدوات الإعلام والإعلان تعصف بهم ذات اليمين وذات الشمال، وهم في حيرة وقلق وضياع واضطراب وتردد، ولكن المحصلة واضحة للعيان: أولاد دون هوية أمتهم.

وبدل أن يسهم أدب الأطفال في تثبيتهم وإبعاد أعاصير الفتن والغزوات الفكرية، بدل هذا يقدم على زيادة احتواء الثقافة الدخيلة لهم، وتطويقها لأفكارهم، ويغرس في نفوسهم وعقولهم وقلوبهم الارتداد عن الإسلام، وينزع من صدورهم خيراً كثيراً فطرهم الله عليه، وتبدأ ثورتهم وتمردهم وانسلاخهم عن قيمهم وهم يرون أولاد (الآخر) يسلكون السلوك ذاته في ديارهم، إذ ينفلتون عن مجتمعهم في إطار ما يسمونه بالحريات وحقوق الطفل والديمقراطية وغيرها من المسميات، التي بدأت جذورها تمتد في أرضنا وتضرب في أعماقها.

أدب الأطفال، كما سنرى بعون الله، يسير وفق خطط (الآخـــر) في مسارات عدة، بدل أن تكون له هويته النابعة من قيم الإسلام فيـــؤدي دوره في تغيير هذا الواقع الذي تعيشه الأمة كبيرها وصغيرها، ولا يظـــن المرء أن الأمر سيكون سهلاً، فإن الأدب المرجو يتطلـــب كتابـــاً علـــى مستوى جيد من العلم والعمل: العلم بما يجب أن يقوموا به، والعمل على أن يصل هذا إلى الأولاد، وهذا لا يتأتى إلا من أبناء الأمـــة أنفســـهم، فكيف تنجب الأمة أولاداً أصحاء وهي ضعيفة ؟ الأمر ليس سهلاً، ولكن تحقيقه يتطلب عزمات.

أدب الأطفال فعل تربوي نسعى إليه، يتوجب أن يعد طفلاً محصـــناً بقيم الكتاب والسنة، قادراً على أن ينـــزل هذه القيم على أرض الواقـــع قولاً وعملاً، وقادراً على أن يواجه العالم ويحاوره وعنده الأسس لذلك، فالإسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أولاها رعاية واهتماماً، كيف لا وهو منهج حياة متكامل يستطيع أن يتعامل مع غير المسلمين ويعـــيش معهم ويجادلهم بالتي هي أحسن.

هذا الأدب عمل تربوي علمي يهيىء الطفل ليقف بحزم وقوة حـــتى يكمل البناء ويرصّ الصفوف ويواصل ما بناه الأجداد الصالحون بعـــزم وصبر وجلد وعلم، لا يتردد في الأخذ من (الآخر) ما يجده معيناً له على حياته في الدنيا، ولكنه يحافظ على قيمه نقية طاهرة لا يمسها سوء. ولا بد

والحال هذه أن يثير (الآخر)، فيقف ويتساءل وهو يرى أمامه إنساناً قوياً غير متخلف يستطيع أن يستوعب معطيات العـالم الماديـة والفكريـة، فيستفيد منها بما هو في حاجة إليه دون أن يفقد هويته وهو قادر علـى الحركة إلى الأمـام بثوابت الإسـلام، فالإسـلام لا يقيده ولا يكبلـه وإنما يرشده لفعل الخير، الذي هو في النهاية البناء الحضاري، إنه يحمـل أمانة، وعليه أن يؤديها.

يتعاون الأدب مع توجيه البيت وتربية المدرسة، وهذه أمور مرجـوة ومنشودة، ليس بالأماني وحدها وإنما بالعمل الدؤوب، لإيجاد هذا الجيل من أولاد الأمة الذي يتمكن من مواجهة الحياة بكل مـا تحمـل مـن معطيات، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، فهو أدب فاعل يوقظ الهمم من رقادها ويطلق القوى الكامنة من قمقمها حتى يتحول فعل الأمة إلى البناء لها ولغيرها، مع الأخذ بالأسباب كلها لتحقيق هذا الفعل.

الفصل الثاني
من قصص الأنبياء والرسل في أدب الأطفال

تمهيد:

تنوعت كتب الأطفال في مجال قصص القرآن، ولا شك أن هذا القصص يشكل مادة غنية لكتّاب أدب الأطفال، فإنه يعرض نماذج بشرية متعددة في مجال الحياة وفي صراعها الدائم مع الخير والشر[1]، فهو يحوي عناصر تربوية ذات أثر كبير في التأثير عن طريق العبرة والعظة[2]، يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف:١١١)، ومن المهم التأكيد أن هذا القصص نسيج من الصدق الخالص لا تشوبه شائبة من وهمٍ أو خيال، كله عرض لحوادث تاريخية مضى بها الزمن، فهو وثيقة تاريخية من أدق ما بين أيدينا من وثائق[3]، قد أنزله الله تعالى ليثبت به فؤاد رسوله ﷺ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود:١٢٠)، وبه يتفكر المسلمون ويهتدون ويثبتون أمام ما يلاقون من محن

(١) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (بيروت: دار المعرفة).
(٢) محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط٤ (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٠ م) ص ١٥٦.
(٣) القصص القرآني في منطوقه، ص ٩، ٣٩ .

وتشريد وعذاب بسبب إيمانهم[1]، يقول الله سبحانه وتعالى في هذا الصدد: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٦).

لقد ركز القصص على الصفات الخيّرة للأنبياء والرسل ليكون للناس فيهم أسوة حسنة، فقد أكرمهم الله بالوحي والنبوة والرسالة، كذلك اهتم القصص بالجانب المادي حتى تكون هناك أسباب وراء عمارة الإنسان للأرض، كما أظهر عناية خاصة ببيان أسباب الهلاك الذي يصيب الأمم والجماعات والأفراد بتفصيل عجيب وهو يتحدث عن الكفر والترف والطغيان والظلم والاستبداد[2]، فالناس ينتظمهم وجود تجري عليه سنن الخالق سبحانه وتعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب:٦٢) وهذا القصص يكافئ المؤمن ويعاقب الكافر الضال المستبد الطاغي وفق السنن ذاتها وهو يتحدث عن واقع تاريخي.

لقد استأثر قصص الأنبياء والرسل باهتمام كتّاب أدب الأطفال وناشريه على حد سواء، فظهرت كتب على شكل سلاسل تحمل عناوين متعددة في قصص القرآن وقصص الأنبياء والرسل، والمسألة في شأن

---

(١) محمد قطب، دراسات قرآنية، ط٦ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١ م) ص ٩٩-١٠٠.

(٢) فضل حسن عباس، القصص القرآني: إيحاؤه ونفحاته (عمان: دار الفرقان، ١٩٨٥م) ص١٠.

كتابتها ليست من الكتّاب على اعتبار أنها مشاريع ضمن خطط تأليفية، وإنما هي على الأغلب شأن النشر وقد دفع من دفع لكتابتها بناء على دافع تجاري أكثر مما هو دافع ثقافي، فتكون الكتابة في هذه العملية محاصرة بفترة زمنية محددة، عادة ما تكون قصيرة، فلا تتاح فرص للإجادة والإتقان، هذا إذا ما ذكرنا النوايا وراء كتابتها، وسألنا ما إذا كانت رسالتها تصل حقيقة إلى الأولاد.

تلك المسألة متصلة بالكاتب وثقافته وزاده الفكري وقدرته على امتلاك الأدوات الحقيقية للكتابة في هذا المجال، ولا ننسى أمر النوايا على اعتبار أنه من أهم الأمور في مجال التوجه للطفل، وقد يسأل الكاتب عن الفرق بين المصدر والمرجع فلا يتمكن من الإجابة، وقد يسأل عن منهج الطبري في كتابة مؤلفه الضخم في تفسير القرآن، على سبيل المثال لا الحصر، فلا يستطيع الإجابة كذلك، فهدفه من اللجوء إلى مؤلف الطبري هذا، إن لجأ إليه في الأصل، هو تدوين الأخبار المتصلة بقصص القرآن، وتمر أمام عينيه مرويات من الإسرائيليات أو أخبار القصاص وهي تحمل من العجائب والغرائب والمنكرات الكثير، فيلتقطها ويدونها لأنه يجد فيها ما يثير اهتمام الطفل، دون أدنى اعتبار لصحتها، ودون أي تقدير لما تتركه من آثار سلبية على الطفل.

ويتم المراد وقد ظن الكاتب أن مسألة كتابة هذا القصص سهلة ميسورة، وما عليه بعد هذا إلا أن يتابع العمل بناء على رغبة النشر، فالعائد المادي قد تحقق للطرفين، دون أي اكتراث بما في هذه الكتب من مغالطات تترك أثرها السيىء على أولاد الأمة نتيجة تقبلهم لتلك الروايات التالفة، التي حولت قصص القرآن إلى أخبار عجيبة تأخذ من الإسرائيليات قدراً، ومن أخبار القصّاص قدراً، ومن آراء الكتاب أنفسهم قدراً، فيبتعد القصص عن غايته، ويفقد قيمته في أن يربي ويهذب ويثبّت الإيمان في قلوب وعقول الأولاد.

يقودنا الحديث عن قصص القرآن إلى أمرين مهمين، نتناولهما بشيء من الإيجاز خشية الإطالة، هما الإسرائيليات وأخبار القصّاص، وهما مسألتان لم يدرك كثير من الكتّاب خطورتهما وهم يدونون صحائف وينقلون أخباراً دون تمحيص وتدقيق.

١ - الإسرائيليات:

الإسرائيليات كلمة جمع مفردها إسرائيلية نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام، وتطلق على ما جاء في كتب بني إسرائيل المبدّلة والمحرّفة من التوراة والزبور وأسفار الأنبياء، إضافة إلى شروحها وشروح التلمود والأساطير والخرافات والأباطيل، وتسمى هذه العهد القديم، كما تطلق على الأناجيل المحرفة وشروحها وما اتصل بها من

أساطير وخرافات وتسمى بالعهد الجديد[1]. وقد أدى اتصال أهل الكتاب بالمسلمين إلى دخول الإسرائيليات في كتب التفسير، واعتبر من أسلم منهم الواسطة في حمل ونقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين بصورة عامة، وقد رويت عنهم الأخبار الإسرائيلية دون بيان كذها وبطلانها[2]، ومما هو جدير بالذكر أن نقل الصحابة، رضي الله عنهم، عن أهل الكتاب كان أقل من نقل التابعين[3]، فإنهم، رضي الله عنهم، كانوا لا يعدلون عما ثبت عن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب[4].

تقسم الإسرائيليات من حيث موافقتها لما في شريعتنا ومخالفتها لها إلى ثلاثة أقسام :

١- ما علمنا صحته مما بأيدينا، مما شهد له بالصدق.

٢- ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

---

(١) محمد محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢ م) ص ١٢- ١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٦- ٩٧.

(٣) ابن تيمية، التفسير الكبير؛ تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة (بيروت: دار الكتب العلمية) ٢/٢١٠.

(٤) محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث (منقح)، ط ٢ (دمشق: دار الإيمان، ١٩٨٥ م) ص ٦٧.

٣- ما هو مسكوت عنه، لا نؤمن به ولا نكذبه[1].

وفي كتاب الله العزيز آيات تدعو الرسول ﷺ والمسلمين إلى سؤال أهل الكتاب، فمن ذلك: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء:٧)، وفي الحديث الصحيح عن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: « **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** »[2] . ففي هذا جواز سؤالهم مما وقع لهم، لأن فيه عبرة بشرط ألا يكون كذباً، فما علم كذبه فلا[3]، وفيه تنبيه من الرسول ﷺ بعدم تصديقهم، فقد يأتون بأمور محرّفة مبدّلة مما لا يجوز للمسلمين روايتها ونشرها[4].

وقد جاء أناس بعد عصر التابعين اهتموا بالإسرائيليات وأفرطوا في الأخذ منها، لا سيما القصّاص الذين كانوا يجلسون إلى العامة يستميلون قلوبهم بما يروونه من أعاجيب تستهويهم[5]، وبقيت هذه متداولة في كتب

---

(١) التفسير الكبير، ٢٣٤/٢ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٢٠٧/٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز ابن عبدالله بن باز (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة) ٤٩٩/٦.

(٤) الإسرائيليات في التفسير، ص ٦٣ - ٦٤.

(٥)المرجع نفسه، ص ٣١- ٣٢.

التفسير والإخباريين، حتى جاء كتّاب عصرنا ليقدموها للناس، وكان منهم بعض كتّاب أدب الأطفال.

وهكذا دخلت الإسرائيليات حياتنا الثقافية والفكرية، وأصبحت على مسمع ومرأى الكبار والصغار.

٢- أخبار القصاص:

تعد أخبار القصاص المصدر الآخر الذي يعتمد عليه الكتّاب في قصص الأنبياء والرسل، وهي أخبار أدخلها القصاص على ذلك القصص، فأخبارهم مختلقة مصنوعة مكذوبة تجرأوا على رفعها زوراً وكذباً إلى الرسول ﷺ، وأوقفوها على عدد من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، كما نسبوا بعضاً منها إلى المحدثين وشيوخهم، فدخلت في باب الأحاديث الموضوعة[١].

وقد ذكرت الموضوعات في معظم كتب التفسير، وكان كثير منها متصلاً بقصص الأنبياء، واستمر الناس على تداولها حتى وقتنا هذا، وبثّت في كتب معاصرة دون اهتمام من كتّابها بما أوردوا فيها من سقيم الأخبار ومكذوبها، ثم انتقلت بدورها إلى أدب الأطفال،

(١) الإسرائيليات والموضوعات، ص ١٤ .

أما حكم روايتها فلا تحل في أي باب من الأبواب إلا مقترنة ببيان أنها موضوعة مكذوبة[1].

ما ورد في أدب الأطفال عن القصص والرد عليه لا يتسع المقام لتناول تفصيلات كثيرة عما ورد في كتب الأطفال عن ذلك القصص، فنكتفي بهذه النماذج لبيان ما يقرأونه من إسرائيليات وأخبار قصاص.

١- من قصة آدم عليه السلام:

ورد فيها أن آدم عليه السلام كان يطوف السماوات ويمر بالملائكة وعلى رأسه تاج من ذهب مرصع بالجواهر، وأن إبليس استعان بالحية لإغواء آدم عن طريق حواء، وأنه هبط في الهند في حين أن حواء هبطت في جدة، وأن الخلاف الذي وقع بين ابني آدم عليه السلام كان بسبب الأخت الجميلة وما ترتب على ذلك من قتل الأخ لأخيه[2]. هذه تعد من الإسرائيليات[3] وأخبار القصاص[4].

---

(١) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م) ٢٧٤/١

(٢) ينظر على سبيل المثال: قصص من القرآن الكريم، حواء المظلومة، ص ٨٦ - ٨٩، ٩٤ - ١٠٠؛ قابيل (بيروت: المكتب العالمي، ١٩٨٨م) ص٣٤ - ٣٦، ٧٥- ٨٣؛ مجموعة قصص الأنبياء، آدم عليه السلام، ط ٣ (القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٧م) ص ١٧- ٢٠؛ ومن قصص القرآن، قابيل وهابيل (حلب: دار ربيع) ص٣ .

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦م) فصل٣-٤.

(٤) الثعلبي، عرائس المجالس (بيروت: المكتبة الثقافية) ص ٢٤- ٢٥- ٣٠.

الرد:

إن فكرة تغرير حواء لآدم عليه السلام فكرة دخيلة على الإسلام والمسلمين، فليس في القرآن والسنة نص يحمّلها تبعة إخراج آدم عليه السلام وشقاء ذريته من بعده[1]، كذلك فإن مقولة إن المرأة كانت وراء قتل الأخ لأخيه تعزز عند الأطفال فكرة أن المرأة هي أساس شقاء الإنسان، وهذا من شأنه أن يحدد علاقتهم بالمرأة ونظرتهم إليها في واقعهم ومستقبلهم، ولا شك أنه يكون أساساً من أسس بناء المستقبل، وما يترتب على هذا من خطر كبير يفضي إلى الحط من قيمة المرأة وإنكار دورها الفاعل في البناء الحضاري للأمة، فيزداد تهميشها بدل أن تسهم في البناء، وهي التي أحسن إليها خالقها فاعتبرها كامل الأهلية ومحلاً للخطاب السماوي والمسؤولية[2].

وفي هذه الأخبار الباطلة تعزيز لما يريد المفسدون في الأرض من غرسه في نفوس وعقول الناس حتى تضطرب المجتمعات الإسلامية وتبتعد عن دورها المناط بها. كذلك تعمل أخبار القصّاص من جهتها على إبعاد

---

(١) يوسف القرضاوي، من هدي الإسلام، فتاوى معاصرة (المنصورة : دار الوفاء ، ١٩٩٣م) ٢/٢٥٤.

(٢) آمال قرداش بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، مقدمة عمر عبيد حسنة (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م) ص١٨.

القارىء عن العبر من قصة آدم عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم، فتجعله شغوفاً بأخبار منكرة لا أساس لها من الصحة.

٢- من قصة إدريس عليه السلام:

ورد في قصته أنه ولد بمصر وسمي هرمس، وقيل إنه سمي إدريس لكثرة درسه، وقد أنزلت عليه ثلاثون صحيفة، وأنه أول من خط بالقلم، وسخّر الحيوانات لخدمته، وخاط الثياب، وعمل السيوف والدروع، وعرف حركات الكواكب[١]. هذه أخبار قصّاص[٢].

الرد:

لم يذكر خبر صحيح عن تلك الأخبار المتصلة بإدريس عليه السلام، وقد ورد في القرآن الكريم أنه صدّيق نبي [٣]، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قد قابله في السماء الرابعة[٤].. والمجازفة في أخبار القصّاص تلك أن الأولاد يتلقونها في كتبهم على أنها أخبار صحيحة، فيتم تضليلهم، ولا يستطيعون التمييز بين الصحيح من غيره.

---

(١) من قصص القرآن عن الطير والحيوان، حمل إدريس (بيروت: مؤسسة الرسالة) ص ٧- ١١٦؛ شجرة الأنبياء، إدريس عليه السلام ذو المكان العلي (القاهرة: دار الفكر العربي) ص ٦ - ٢٢.

(٢) عرائس المجالس، ص ٤٢.

(٣) سورة مريم، الآية ٥٦؛ وسورة الأنبياء، الآية ٨٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث المعراج، ٥/ ٦٧، وفي رواية شريك أنه في الثالثة، وعن أنس أنه في الخامسة؛ فتح الباري، ٧/٢١٠، والله أعلم.

٣- من قصة نوح عليه السلام:

ذكرت تفصيلات عن السفينة وأسماء وأخبار الحيوانات فيها ورحلتها في أرجاء الأرض حتى وصولها إلى بيت المقدس وطوافها حول الكعبة، وقصة الحمامة التي عادت إلى السفينة تحمل غصن زيتون بعد انحسار الماء[١].

هذه من الإسرائيليات[٢] وما رواه القصّاص[٣].

الرد:

تبعد تلك الأخبار القارىء عن العبر من القصة، لتشدّه إلى غرائب وأباطيل ومفهومات دخيلة، فمن ذلك أن مقولة الحمامة وغصن الزيتون تدخل مفهوماً غريباً من الإسرائيليات إلى ثقافة الأمة ليصبح نموذجاً نمطياً يستخدمه مسلمون جهلاً دلالة على السلام والأمن، كذلك فإن أخبار الحيوانات في السفينة بما تحمل من غرائب مثيرة تعززّ أفكاراً خاطئة تترسخ في العقول والنفوس.

---

(١) مجموعة قصص الأنبياء، نوح عليه السلام، ط ١٠٠ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٧م) ص ٢١- ٢٤؛ وديوان شوقي للأطفال (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م) ص ٥٩ ــ ٦٧ ؛ وسفينة نوح، ص ١٤ ؛ و قصص الرسل والأنبياء، آدم أبو البشر ونوح وسفينته (القاهرة : دار نهضة مصر، ١٩٨٨م) ص ٣٩ – ٤٠؛ ومن قصص القرآن ٢ ؛ طوفان نوح، ص ١٦.

(٢) العهد القديم، سفر التكوين، فصل ٦، ٨.

(٣) ينظر على سبيل المثال : عرائس المجالس، ص ٤٧، ٤٨، ٤٩.

٤- من قصة إبراهيم عليه السلام:

ورد في الكتب خبر ولادته وإخفاء أمه له خشية بطش الذي كفر به، وما جرى له في الغار من عجائب، ثم هجرته وزوجه إلى مصر هرباً من المجاعة التي حلّت في أرض فلسطين، وإقامته في بئر سبع، وخبر زوجته مع جبّار من الجبارين في مصر[1].. هذه أخبار من الإسرائيليات[2]، وغرائب القصّاص[3].

الرد:

تدخل أخبار ولادته، عليه السلام، وما جرى له في الغار في أخبار أهل الحشو المولعين بغرائب الحكايات، التي تبعد القارىء عن كتاب الله، أما أخبار هجرته إلى مصر هرباً من المجاعة وإقامته في بئر سبع فترتبط

---

(١) قصص الأنبياء للأبناء، إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٨٩ م) ١/ ٦ - ٧؛ وقصص من القرآن الكريم، سارة أجمل نساء الأرض، ص ١٦- ٧٤؛ ومجموعة قصص الأنبياء، إسماعيل الذبيح عليه السلام، ط١٢، ص٣-٧؛ ومن قصص القرآن، سارة وهاجر، ص ٣؛ وحياة الخليل إبراهيم عليه السلام (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٨٣ م)؛ كوكب الأرض، ص ١٥؛ وبئر سبع، ص ٦ - ١٠ .

(٢) العهد القديم، سفر التكوين، فصل ١٢، ٢٠، ٢١، ٢٢ .

(٣) ينظر على سبيل المثال: عرائس المجالس، ص ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، وسبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ؛ حققه إحسان عباس (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٥م) ٢٧٩/١ .

بالتفسير المادي للتاريخ الذي يناقض كون إبراهيم، عليه السلام، نبياً ومرسلاً أمره الله سبحانه وتعالى أن ينشر رسالته أينما حلّ، صابراً محتسباً، فلم تكن هجرته طمعاً في كسب مادي، وأما خبره وزوجته مع جبّار من الجبارين فقد ورد بصورة يساء فيها إليهما[1]، والأولى عدم ذكره في أدب الأطفال حتى لا يساء فهمه عندهم، فالواجب التزام الأدب مع الأنبياء وأهليهم من المؤمنين[2].

٥- من قصة يعقوب عليه السلام:

مما ذكر في قصته عليه السلام أنه تحايل مع أمه حتى ينفرد ببركة أبيه إسحاق، عليه السلام، ورضاه، وكان إسحاق يفضّله على ولده عيسو[3].

هذه أخبار من الإسرائيليات[4]، أوردها بعض الإخباريين من القصّاص[5].

---

(١) روى البخاري، رحمه الله، حديثاً تطمئن إليه النفوس في هذا الشأن، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً، ٤/١٧١.

(٢) جمال عبد الهادي مسعود، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: عن إبراهيم عليه السلام (الرياض: دار طيبة، ١٩٨٦م) ص ٢١٣.

(٣) قصص من القرآن الكريم، حينما باعوا النبي، ص ١٣- ١٧؛ وسلسلة قصص الأنبياء، إسحاق عليه السلام، ص ٣٩-٤٣؛ ويعقوب عليه السلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م) ص ٧-١٢؛ قصص الأنبياء للأنبياء، إسحاق عليه السلام، ص٩-١١.

(٤) العهد القديم، سفر التكوين، الفصل ٢٥، ٢٧ .

(٥) ينظر على سبيل المثال: عرائس المجالس، ص ٨٩ .

الرد:

هذا من الكذب المستبعد عن نبي مع أبيه، عليهما السلام، يظهر أن بركة يعقوب، عليه السلام، إنما كانت مأخوذة بخبث وخداع، وحاشا للأنبياء، عليهم السلام، هذا[1].

٦- من قصة موسى عليه السلام:

مما ورد فيها أنه قد أخذ الحكمة والعلوم والكيمياء من المصريين القدماء[2].

هذا قد يشوبه شيء من الإسرائيليات[3]، وأخبار القصّاص قديماً وحديثاً[4].

الرد:

يشتمّ من الخبر، والمجازفة في ذكره، الانتقاص من نبوة موسى، عليه السلام، ورسالته ومن أهمية الوحي، ليصبح عليه السلام عظيماً من العظماء قد أتي من هذه الأمور مما أخذ من علوم المصريين القدماء.

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ؛ تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٥م) ١/ ٢٢٨.

(٢) قصص من القرآن الكريم، قارون والغانية الإسرائيلية، ص ٣١ - ٣٢.

(٣) العهد الجديد، أعمال الرسل، فصل ٧.

(٤) ينظر على سبيل المثال: عرائس المجالس، ص ١٨٩؛ وعبد السلام بدوي، من أنباء الرسل (القاهرة: دار الشعب، ١٩٨٢م) ١/٢١٧ .

ولعل هــذا يرتبط بمقولــة فاســدة باطلة تفــيد أنه عليه الســلام نشأ في ظل الوحدانية، التي زُعم أن أخناتون دعا إليها، وقد روّج لهــذه المقولــة الخبيثة «سيجموند فرويد»[1] أحد دارسي النفس الإنســانية، وهو يهودي الأصل.

٧- من قصة سليمان عليه السلام:

وردت أخبار كثيرة من الإسرائيليات وحكايات القصّــاص عــن سليمان، عليه السلام، في كتب الأطفال، ومما ذكر منها أنه كان له بساط تحمله الرياح أين شاء، وأنه أقام هيكلاً يقدس فيه الرب قد أنفق في سبيله الأموال الطائلة[2]. إن حكاية بساط الريح هي من أخبار القصّــاص[3]، وأما خبر بناء الهيكل فهو من الإسرائيليات[4].

الرد:

يعتبر خبر بساط الريح من أخبار الحكايات التي تبعد القارىء عــن حقيقة تسخير الله سبحانه وتعالى لسليمان عليه السلام الريح، لتأخــذه

---

(١) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر (القاهرة : دار الشعب، ١٩٧٠م) ١/١١٨- ١١٩.

(٢) قصص من القرآن الكريم، بساط الريح، ص٧٤ ، ٧٩، ٩٥- ١٠٠؛ وقصص الأنبياء للأبناء، سليمان عليه السلام، ص ٨- ٩؛ وشجرة الأنبياء، سليمان عليه السلام النبــي الملك، ص ٦.

(٣) ينظر على سبيل المثال: عرائس المجالس، ص ٢٦١، وقد عدّ السيوطي حــديثاً عــن البساط في باب الأحاديث الموضوعة (القاهرة: المكتبة التجارية) ١/١٧١- ١٧٢.

(٤) العهد القديم، سفر الملك الأول، فصل ٥، ٦، ٧ .

صوب حكايات ألف ليلة وليلة، التي تثير الخيال وتجعل من أخبار هذا النبي المرسل حكايات مثيرة أشبه ما تكون بالأساطير، بدل بيان قدرة الله وعظمته ومعجزاته لرسوله سليمان، عليه السلام.

في خبر بنائه هيكلاً وإنفاقه الأموال الطائلة لذلك مجازفة خطيرة ترتبط بواقع الأمة، فإن ذكر مصطلح «هيكل» مؤشر خفي إلى نوايا اليهود في إعادة بناء ما يزعمون أنه هيكل سليمان عند المسجد الأقصى، وقد يرى الطفل هذا مبرراً لإعادة بناء الهيكل طالما أنه خبر دوّن في كتاب موجه له عن أخبار سليمان، عليه السلام، في إطار قصص الأنبياء الواردة أساساً في القرآن الكريم، وقد غاب عن الكتاب حديث صحيح عن النبي ﷺ فيه أن سليمان، عليه السلام، قد بنى مسجداً في بيت المقدس خالصاً لا يأتيه أحد إلا للصلاة فيه[1]، فأين هذا الحديث الصحيح من ذلك الخبر المزعوم من الإسرائيليات، الذي يبيح لليهود الاعتداء على المسجد الأقصى وديار المسلمين في فلسطين ؟ !

---

(١) النسائي، صحيح سنن النسائي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٨م) ١/ ١٤٩.

٨- من قصة عيسى عليه السلام:

مما ورد في كتب الأطفال عن قصة عيسى، عليه السلام، أن يوسف النجار كان شاباً من شباب اليهود الأتقياء قد خطب مريم، عليها السلام، وأن عيسى، عليه السلام، تعلم النجارة والقراءة والكتابة وتراتيل المزامير على يد حاخام من الناصرة، وكانت أمه تقدم له الكتب المقدسة، وأنه قد حوّل الماء إلى خمر، وأنه لم يقم الحكم على امرأة زنت[1]. جلّ هذه الأخبار من الإسرائيليات[2]، قد أوردها بعض الإخباريين والقصّاص[3].

الرد:

إن الخبر المزعوم عن خطبة يوسف النجار من مريم، عليها السلام، يحمل مجازفة خطيرة، فهو يخالف النص القرآني[4] عن معجزة ولادة عيسى، عليه السلام، من غير أب، وقد يفضي إلى الشك في هذه المعجزة،

---

(١) قصص من القرآن الكريم، مائدة من السماء، ص ٣٥؛ وقصص الأنبياء، عيسى المسيح عليه السلام، ص ٨، ١٠، ١٧، ١٨؛ ومن قصص أنبياء الله، سيدنا عيسى عليه السلام (الإسكندرية: المركز العربي) ص ٨، ١٠.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متّى، فصل ١، ٢؛ وإنجيل مرقس، فصل ٣، ٦؛ وإنجيل لوقا، فصل ٢، ٣، ٧، ٢٤؛ وإنجيل يوحنا، فصل ٢، ٨ .

(٣) ينظر على سبيل المثال: عرائس المجالس، ص٣٤٢، ٣٤٨، ٣٤٩.

(٤) سورة آل عمران، الآيات ٤٥- ٤٧ .

وأما خبر تعلمه، عليه السلام، التجارة وتراتيل المزامير على يد حاخام من اليهود فيثير الشك في رسالته ومصدر تعلمه، والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (المائدة: ١١٠)، ونعلم أن الكتب المقدسة التي زعم أن أمه قدمتها له لا تعدو إلا أن تكون شروحات للتوراة فيها من التعديل والتحريف أكثر مما أنزل على موسى عليه السلام.

أما خبر تحويله الماء خمراً فهو مدسوس باطل، فإنه إقرار منه عليه السلام بجواز شرب الخمر، وحاشا له ذلك، فإنه لم يرسل ليغوي بني إسرائيل، ولا ليحل لهم ما يذهب العقل ويؤدي إلى التهلكة، وأما خبر عفوه عن امرأة أخذت بالزنا، فإنه يخالف ما في التوراة والإنجيل من حكم في هذه المسألة[1]، فلا يعقل أن يلغي حكم الزنا، فيتركه يستشري في بني إسرائيل، وهو الرسول المأمور باتباع ما أمر الله به.

ذلك ما كان من شأن بعض ما ورد في كتب الأطفال عن قصص الأنبياء والرسل.

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا ما زنوا ودفعوا إلى الإمام، ٨/٢١٣-٢١٤.

خلاصة:

نذكر منها: يثير قصص الأنبياء والرسل في أدب الأطفال أموراً: .

١- يتم التعامل مع هذا القصص كأنه حكايات طريفة وغريبة أكثر من كونه نماذج قصصية دالة بما يتضمن من عبر.

٢- هناك حرص شديد على تغطية الجوانب الزمنية المتسلسلة الخاصة بكل نبي ورسول، وهذا قد أدى إلى حشد الكتب بالإسرائيليات وأحاديث القصّاص، وإلى الابتعاد عن منهج القرآن الكريم في هذا الشأن، فهو منهج ملتزم بتقديم العبر، وليس الاهتمام بسرد الحوادث لمجرد السرد، ففي كل موقف ذكر عبرة وتوجيه[1].

٣- تتمثّل في الإسرائيليات مخاطر، منها أنها تفسد على المسلمين عقيدتهم لما تتضمن من نفي لعصمة الأنبياء والرسل ولتصويرهم في صور مغايرة للواقع التاريخي، كما أنها تظهر الإسلام على أنه دين يعنى بترّهات وأباطيل لا أصل لها، وهذا يفضي إلى صرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن الكريم من أجله، هدى ورحمة وهداية ومنهج حياة[2]، وإلهاء الناس ودفعهم إلى كتب أهل الكتاب ليبحثوا عن غرائبها وعجائبها الموضوعة،

---

(١) ينظر على سبيل المثال: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن (القاهرة : دار المعارف، ١٩٥٩م) ص ١١٩، ١٢٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨.

(٢) الإسرائيليات في التفسير، ص ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٤.

ويحصل تشويش وتشكيك بالعقيدة، لا سيما لأولاد الأمة وهم ليسوا مؤهلين عقلياً لمواجهتها والرد عليها ونقدها نقد العلماء القادرين من أمثال ابن حزم وابن تيمية وابن قيّم الجوزية، رحمهم الله.

وإلى جانب ذلك فإن الإسرائيليات تدعو المسلمين إلى الإقرار بما في الكتب المتداولة عند أهل الكتاب، والله عز وجل يحذّرنا مما فيها من اختلاف وتبديل وتحريف أدى إلى بعدهم عن الصراط المستقيم. إن نشر أخبارها في كتبهم يدعوهم إلى مطالبة المسلمين بأن يقروا بكل ما ورد فيها، طالما أن المسلمين قد اعتمدوا على بعض منها وهم يكتبون عن قصص الأنبياء، وهكذا يؤتى المسلمون من جهة إيمانهم بأن القرآن الكريم مصدّق لما سبقه من الكتب السماوية[1]، ومن المعلوم أن الإسرائيليات كانت فيما مضى في كتب التفسير، وقد سعى علماؤنا، رحمهم الله، إلى تمييزها وبيان خطورتها، وقد أنكروها واعتبروها إضافات هامشية لم تعط صفة التوثيق، وأطلقوا على مروّجيها لفظ القصّاص، وليس لفظ المفسرين[2].

ويشهد واقع الأمة مساجلات يقف فيها المسلمون وهم يخوضون مع أهل الكتاب مدفوعين دفعاً إلى ذلك، ليدافعوا عن الإسلام كأنه متهم

---

(١) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)، الإسرائيليات في الغزو الفكري (القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٥م) ص ١٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٩، ٩٢، ١٥٥.

يحاول أن يمد يديه (للآخر) في إطار شعارات الإنسانية والأخوة والمحبة والسلام، وهي شعارات أريد بها باطلاً، كون (الآخر) يستخدم أسلحته الثقافية المتعددة ليضعف المسلمين ويزيل عن الطريق حقيقة تعامل الإسلام مع أهل الكتاب وغيرهم من أصحاب الملل في إطار ما يعرف بأحكام أهل الذمة، وهي أحكام تضبط حركة المسلمين في تفاعلهم وتعاملهم مع (الآخر)، ولكننا لا نسمع عنها في تلك المساجلات القائمة هنا وهناك واللقاءآت بين المسلمين و(الآخر)، في حين نسمع عن نصوص تلوى أعناقها وأحكام هشة للتعامل مع (الآخر) حتى يتم تدجين المسلمين وفق ما يخطط له (الآخر): ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة: ١٢٠).. واتباع أهوائهم فيه تهديد ووعيد شديد للأمة[١]، وهم ماضون في خططهم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ (البقرة: ١٠٩)، وهنا يحذر تعالى عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلّمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين[٢].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الأندلس، ١٩٦٦م) ٢٨٦/١.

(٢) المصدر نفسه، ٢٦٨/١ .

لقد كره علمـــاء الأمة رواية الإســـرائيليات المأخـــوذة من صحف لا يوثق بها ولا يعتمد عليها[1]، ونستأنس في هذا المقام بقـــول القـــرافي، رحمه الله: «إن تلك الروايات الركيكة زيـــدت بالأهويـــة والأغـــراض، وليست منـــزّلة من عند الله تعالى، بل يسقط الاحتجاج بجميع التـــوراة، لأن الزيادة والنقصان قد انفتح، فلا يوثق بشيء بعد ذلك، ويجب اجتناب الجميع خشية أن يكون مما زيد وهو محرّم»[2]، فيتوجب التنبه إلى هـــذا والامتناع عن الأخذ من الإسرائيليات دون حجة، حتى لا يفتح البـــاب واسعاً لدسّ مفتريات وأكاذيب وأباطيل في حق الأنبياء والرسل، فينتقـــل هذا بدوره إلى النيل من العقيدة نفسها.

٤- يتجاهل كتاب أحاديث النبي ﷺ الصحيحة عن الأنبياء والرســـل، فهي المصدر الموثوق الآخر عنهم، بعد كتاب الله ســـبحانه وتعـــالى، وفيها ما يلقي مزيداً من الضوء عنهم وما يوضّح مواقف عديدة في حقهم.

إن ابتعاد الكتّاب عن الأخبار الواردة في القرآن الكريم والأحاديـــث النبوية قد أدى إلى مجازفات لا بد أن يكون أثرها خطيراً على الأمة.

---

(١) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمـــود الطحّـــان (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٢م) ٢/١١٤.

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تحقيق بكر زكي عوض (القاهرة، ١٩٨٦م) ص ٢٥٥.

الفصل الثالث
السيرة النبوية في أدب الأطفال

تمهيد:

تمثل كتب السيرة النبوية في أدب الأطفال خيراً كبيراً، وتكاد أن تستأثر باهتمام الناشرين والكتاب على حد سواء، وما تزال. ويعجب المرء لهذا العدد الكبير من السلاسل التي تتناول موضوع السيرة، سواء ما كان منها يتناول حياة الرسول ﷺ بصورة عامة، أم ما كان يعرض لجوانب منها على وجه الخصوص مثل غزواته وخلقه وحياته اليومية مع زوجاته، والصحابة، رضي الله عنهم.

لقد اجتهد الكتاب في كتبهم، إلا أن الجانب الذي يثير القلق في عدد من هذه الكتب افتقارها إلى المنهج القويم المناط به تقديم هذه السيرة في إطار تمثل معاني الحركة الحضارية في بناء الأمة(1)، فالسيرة النبوية تحمل في طياتها المعاني التي تحتاج إليها الأمة للعمل الحضاري باعتبار أن لها صفة المعيارية الخالدة في الإطار العملي التطبيقي(2)، فيكون المطلوب والحال

---

(1) إبراهيم علي محمد أحمد، في السيرة النبوية: قراءة لجوانب الحذر والحماية، مقدمة عمر عبيد حسنه (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٦م) ص ٢٢.
(2) المرجع نفسه، ص ٢٤.

هذه محاولات جـــادة وتحليل جوانب من عطـــائها على عدة صعـــــد، مثل الصعـــيد السياســـي والدعوي والمواجهـــة والمجادلـــة بالتي هـــي أحسن والجهادي والتربوي والاجتماعي لتكون هذه الجوانـــب عمـــلاً للاقتداء والتأسي لبناء النخبة واصطفاء الكفاءات لمشاريع النـــهوض[1]، ولسنا نغالي ولا نحلم عندما ننظر إلى أولاد الأمة فننظر إلى المســــتقبل، ونحن لا نعيش ليومنا، كما أريد لنا ذلك، بل يتوجب علينـــا أن نعـــيش لغدنا ونعد أولادنا إعداداً خيراً قوياً عزيزاً رغم كل ما يحيط بنا من عوائق ومثبطات، فلا نقف مكتوفي الأيدي مستلبي الإرادة ونكتفـــي بـــالتغني بأخبار السيرة، ولا نبقى مسكوني واقعنا، أسارى المعوقات التي تحيط بنا من كل جانب.

علينا أن نتعامل مع السيرة النبوية على أساس أنها تمثل الفقه والتجسيد العملي لقيم الكتاب والسنة على أرض الواقع، وكل حركة إصلاح أو تغيير تعجز عن تقديم الحلول وفق هذه الرؤية تكون عاجزة عـــن تمثـــل القـــيم الإسلامية. فالسيرة هي البيان النبوي العملي والضابط لكيفيات تعامل البشر مع الوحي المعصوم الصالح لكل زمان ومكان[2]، وما أشد حاجتنا إلى هذا

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٢-١٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢١-٢٢ .

في زماننا هذا حتى تكون للأمة حركة فاعلة صحيحة طيبة تكون أفعال الرسول ﷺ هي القدوة الصحيحة في إطار حاجات عصرنا ومتطلباته وفي ضوء واقعنا الذي نعيش. يقول تعالى: في محكم التنزيل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب:٢١).

فهذه الأسوة تتطلب عزمات المؤمنين القادرين، إن شاء الله، على إضاءة جوانبها المتعددة للأولاد، حتى يسيروا بهداها وهم يواصلون مسيرة الأمة، فلا تكون السيرة موالد وموائد وأناشيد وطبول ومزامير تشيع فيها البدعة وتغيب فيها السنة[1]، وليست هي بطبيعة الحال قصصاً طريفة وظريفة يستمتع الأولاد بقراءتها ويقفون عند هذا الحد بحثاً عن موضوعات طريفة أخرى، فلا يرون فيها سوى سيرة عظيم من العظماء، مثلما يقرأون عن عظماء الفرنج في ميادين العلوم والاختراعات والمعارك الحربية، ولا يمثلون قيم الكتاب والسنة.

إن قراءة متأنية لكثير من كتب السيرة الموجهة للأطفال تبعث الدهشة والتساؤل والحيرة في النفوس. وتسأل كاتباً عن مصادره التي اعتمد عليها في كتابة السيرة، فيجيب بأنها سيرة ابن هشام، هذا إن كان يتمتع بقدر من المرجعية التاريخية المتعلقة بمصادر السيرة، وقد لا يعرف أن

(١) المرجع السابق، ص ٣١.

سيرة ابن هشام هذه مأخوذة عن سيرة ابن إسحق المسماة «كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي»، فيأخذ من سيرة ابن هشام ما شاء له ذلك دون أن يميّز بين الأخبار الصحيحة والضعيفة فيها. وقد يلجأ إلى طبقات ابن سعد أو تاريخ الطبري دون معرفة بصحيح الأخبار وضعيفها، ودون اهتمام بالإسناد والمتن ونقدهما نقداً علمياً، ولا يدري ضعف مرويات الواقدي على سبيل المثال إن انفرد بها دون سائر مؤرخي السيرة ورواتها، وقد يقف عند سيرة ابن هشام معتبراً أنها قد أوفت أخبار السيرة حقها، وربما غابت عن الكاتب مصادر مهمة مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، وغيرهما من كتب السنة التي تشمل كثيراً من مرويات السيرة الصحيحة.

وإن لم تسعف الكاتب همته في النقل عن سيرة ابن هشام وغيرها من الكتب المتقدمة أو المتأخرة لجأ إلى مؤلفات حديثة ومعاصرة يكتب منها ما شاء له ذلك، ظناً منه أن فيها ما يجب أن يقدم للأولاد، لا سيما أنه ينظر إلى مؤلفيها نظرة إجلال وتقدير تصل إلى رتبة التعظيم، فهم متألقون في عالم الأدب، وهم نجوم لامعة فيه. ولا يكاد الكاتب يدرك أن كثيراً من تلك الكتب الحديثة والمعاصرة قد اتكأت في كثير من الأحيان على ما كتبه مستشرقون عن السيرة، فينقل منها وهو مطمئن، دون أن يتنبه إلى خطورة ما فيها من مجازفات ومفتريات وأخطاء. ولا بد أنه

يكون تحت وطأة عجلة ناشر قد حدده بفترة زمنية قصيرة لا تتجاوز أشهراً قليلة، فيكون مضطراً والحال هذه إلى الأخذ من هنا والنقل من هناك، مثله مثل حاطب ليل، ليؤمن السلسلة المطلوبة في الوقت المحدد. وقد يلجأ إلى تبسيط مادة موجهة في الأصل إلى الكبار، دون تمييز لقيمتها العلمية، ظناً منه أن تلك المادة قد لقي صاحبها انتشاراً واسعاً ورواجاً وربحاً، وقد أعيدت طباعتها مرات ومرات، فاختيار المادة لا يكون إلا بمقدار شهرتها وانتشارها وما يمكن أن تحقق من رواج وربح، وليس لقيمتها العلمية (!)

هكذا ينتقل الكاتب من كتاب لآخر ومن مصدر إلى مرجع، في حركة عشوائية في غالب الأحيان تفتقد إلى أصول المنهج القويم وأبسط قواعد النقد العلمي في التحقق من المرويات الصحيحة، وقد يعمد إلى تدوين أخبار غريبة وأفكار دخيلة على السيرة عن عمد أو غير عمد، عن علم أو جهل. فيتلقى الأولاد هذا كله، وهو يعتبر زادهم القليل أمام ما يتلقون من ثقافة عبر وسائل الاتصال المتعددة المثيرة التي تسيطر على عقولهم ونفوسهم وقلوبهم، إلا من رحم الله، وتقتلعهم من جذورهم الأصيلة، ولا يدرون ما كان يفعل السلف الصالح بأولادهم.

فها هو ذا زين العابدين علي بن الحسين بن علي يقول: «كنا نعلم معازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن»[1]، ومغزى هذا لا يخفى على كل فطن حريص على تربية أولاد الأمة وفق النهج القويم، فالقرآن منهج حياة المسلم، والسيرة النبوية تطبيق عملي لهذا النهج في كافة مناحي الحياة، صغيرها وكبيرها. فإن أحسن فهمه وتطبيقه بتبصر ودراية مع اعتبار واقع الأمة الآن أصبح طريق الأمة واضح المعالم حتى تنهض من كبوهما وتفيق من سباتها وتعمل على تقوية البنيان المرصوص لما فيه الخير بإذن الله، ليس لها وحدها ولكن لغيرها، فيدرك (الآخر) معنى الخيرية ومعنى الإصلاح، ويعي أن هذه الأمة لا تفسد في الأرض مثلما تفعل الأمم الأخرى حفاظاً على مصالحها دون اعتبار للآخرين.

ولكن للكتاب، إلا من رحم ربي، شأن معاير لهذا السبيل، وهم ما زالوا يزحفون أشبه بطفل صغير غير قادر على المشي بعد، فإنهم في مجال السيرة النبوية لا يميزون بين خبر صحيح وآخر ضعيف، ولا يقدرون عواقب ما يفعلون وهم يكتبون أخباراً مدسوسة على السيرة بفعل نفر من المستشرقين والمستغربين على حد سواء، وهم في زحفهم لا يقرأون

---

(١) الزرقاني، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (القاهرة: المطبعة الأزهرية، ١٩٠٧م) ٣٩٢/١.

ما كتب في مجال السيرة من إسهامات المتقدمين والمتأخرين مـــن علمـــاء الأمة وجهودهم الطيبة لدراسة السيرة دراسة علمية قائمة على الالتـــزام بالحق، من حيث اختيار النصوص الصحيحة والأحاديـــث الثابتـــة مـــن المصادر الموثوقة.

لقد أعرض عدد من الكتاب عن هذا، وآثروا السهل بالأخـــذ مـــن هناك وهناك، دون تبصر، وهم يركضون وراء انتهاز الفرص بحثـــاً عـــن موضوعات أخرى تجلب لهم المكاسب.

هـــكذا خلت كثير من كتب الســـيرة للأطفال من الغايـــة الـــتي يتوجب أن تســـير نحوها، لتصبح كتباً تعـــج بقصـــص وحـــكايات طريفة وغريبة ربمـــا تقرأ على ســـبيل المعرفة بالأمر بدل الجهـــل بـــه، وليس على سبيل التأسي والتبصر وإعداد الأمة للبناء. ولعل هذه المســـألة الخطـــيرة في ثقـــافة أولاد الأمة تثير مسألة غياب النقد العلمي في مجـــال ما يكتب للأولاد، في مجال السيرة على نحو خاص، وفي مجـــال التـــاريخ الإسلامي على نحو عام، ونتأمل ونتألم ولكننا لا نقف ونبكي ونتحســـر، بل نتحرك ونعمـــل حتى تواصل الأمة مسيرة قوية فاعلة تحمـــل الـــزخم المرجو للبناء الحضاري.

السيرة النبوية في كتب الأطفال:

نتناول في هذا الباب بعض الأخبار الواردة في كتب الأطفال عن السيرة النبوية:

١- ذكرت تفصيلات تبين إرهاصات نبوة النبي ﷺ حتى قبل ولادته، فمن ذلك أن جده عبد المطلب رأى رؤية كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض، ثم عادت كأنها شجرة، على كل ورقة من أوراقها نور؛ وأن نوراً كان على وجه أبيه عبد الله قد فارقه عندما تزوج بآمنة؛ وأنه عند ولادته ولد مسروراً مختوناً وقع من بطن أمه ساجداً؛ وأن نساء رأين نوراً ينبعث من آمنة يملأ أطراف الأرض، وأن إيوان كسرى قد اضطرب وتهدمت شرفاته وخبت النار فيه[1]. هذه روايات ضعيفة لا تستند إلى الأخبار الصحيحة، هدفها إضفاء هالة من الأعاجيب والمعجزات الخاصة برسالة النبي ﷺ قبل وأثناء ولادته، وهي تصرف المرء عن الأخبار الصحيحة[2].

---

(١) حياة محمد ﷺ في عشرين قصة، ط ٢ (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م) ص ١٢؛ وسلسلة من أمجاد الإسلام، مولد الهدى، ص ١٠، ١٨؛ وأصحاب الفيل، ط ٢ (القاهرة: نهضة مصر، ١٩٨٨ م) ص٣٣؛ والسيرة النبوية للأطفال (القاهرة: مكتبة القرآن، ١٩٨٦م) ص ١٤؛ وسيرة خاتم النبيين للبنات والبنين: آباء محمد ﷺ ومولده (بيروت: دار الكتب الحديثة، ١٩٨٧م) ص ٢٥-٢٦ .

(٢) ينظر على سبيل المثال: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (الدوحة: جامعة قطر، ١٩٩١م) ص١٠١.

٢- من أخبار طفـــولته أنه مرض مرتين: في المرة الأولى عندما كان رضـــيعاً لم يتجاوز الأســـبوع الأول من عمره، وفي الأخـــرى عنـــدما تجاوز أعوامه الثلاثة بسبب أن التغذية لم تكن كافية في ديار بـــني ســـعد وبسبب الحر الشديد أو البرد[1]. وهنا إغفال عجيب لحادثة شق الصـــدر لرسول الله ﷺ وهو طفل في ديار بني سعد، وهي ثابتة الوقوع قد أوردها الإمام مسلم، رحمـــه الله[2]. هذا الإغفال للحادثة هـــو اتباع لخطى من لا يطمئن إليها ما دام مستشرقون يفعلون هذا، فمنهجهم علمي على حد زعمهم يسقط أمر الغيبيات من السيرة؛ لأنه يعصم من الزلل كما يدّعون، لذلك تعتبر الحادثة في نظرهم مجرد نوبة عصبية أصابت النبي عليه أفضـــل الصلاة والسلام وهو طفل[3].

ما أثر إنكار هذه المعجزة على أولاد الأمة ؟ ما أثر اعتقادهم بمرضه وهو طفل؟ إنهم سيتقبلون فيما بعد الخبر المدسوس عن إصابته ﷺ وهـــو

---

(١) طفولة النبي ﷺ للأطفال (القاهرة : الـــدار المصـــرية اللبنانيـــة، ١٩٩٠م) ص ٣٨- ٤٤٠؛ ومجموعة سيرة الرسول ﷺ، المولد، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩١م) ص ٢٩-٣١؛ وسيرة خاتم النبيين، للبنات والبنين محمد ﷺ الطفل، ص ٤-١٤؛ وقصص الأنبياء للأبنـــاء: سلسلة محمد ﷺ خاتم النبيين مولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ص ١٢-١٤ .

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي (القاهرة: المطبعـــة المصـــرية، ١٩٣٠م) كتـــاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله وتعالى عليـــه إلـــى الســـموات وفـــرض الصلوات، ٢/٢١٥ -٢١٧ .

(٣) ينظر على سبيل المثال: محمد حسين هيكل، حياة محمـــد، ط ١٣(القـــاهرة: مكتبـــة النهضة المصرية، ١٩٦٨م) ص ١١١ .

طفل بنوبة عصبية، وقد لا يترددون في تصديق استنتاج أكثر خبثاً ردده مستشرقون من أمثال موير وواط ونيكلسون يفيد أن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام كان مصاباً بالصرع[1]، أو أن هذه الحادثة إنما هي أمر باطني وأسطوري ذو مغزى فلسفي يتصل بالخطيئة الأولى[2].

إن تغييب الحادثة يعني تغييب الحكمة منها، فإنها كانت في طفولته عليه أفضل الصلاة والسلام لتنقي قلبه من مغمز الشيطان وليطهر من كل خلق ذميم، فلا يكون في قلبه إلا التوحيد[3] .

والغريب في هذا كله أن تذكر الأخبار الضعيفة الواهية المتعلقة بإرهاصات نبوته قبل وأثناء مولده، وتترك الأخبار الصحيحة الثابتة.

٣- من أخبار صباه وشبابه قبل البعثة أنه كان كثير التأمل في الكون والدنيا وفي السؤال عن الخالق وفي أمور الناس الفاسدة من حوله؛ وكان يسمع في رحلاته عن أناس يعبدون النار أو الأصنام؛ كذلك سمع من الراهب بحيرا حديثاً طويلاً عن أهله وقومه ومعتقداتهم، وأنه نصراني على

---

(١) محمد رضا، محمد رسول الله ﷺ (القاهرة: عيسى البابي جلبي، ١٩٦٦م) ص ٢٥.
Watt, W. M.Muhammad Prophet and Statesman, London: Oxford U.P, 1971, p.19, and Nicholson, R. A. A Literary History of the Arabs, London: Cambridge U. P., 1966, p.147 -148.

(٢) درمنغم، إميل، حياة محمد، نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥م) ص ٣٠.

(٣) السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرحمن الوكيل (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٧م) ٢/١٧٣ .

دين المسيح عليه السلام؛ كما قابله الراهب نسطور وحاوره عن أديـــان قومه وعرف أنه على دين عيسى عليه السلام؛ كذلك قابل بعض الروم، وعرف الكثير عنهم وعن ملتهم النصرانية؛ وسمع عليه الصلاة والســـلام أخباراً عن مدين ووادي القرى وديار ثمود أثناء رحلاتـــه في التجـــارة، ونتيجة هذا كله راح يهيء نفسه لتلقي أمر عظيم[١].

نجد هنا كيف تختلط الأخبار الغريبة، التي لم تـــذكر في مرويـــات السيرة، بخبر عن مقابلة النبي ﷺ لراهب أثناء رحلته مع عمه في تجارة إلى الشام[٢]، غير أن الكتب لم تعتمد على تفصيلات الخبر الصحيح هـــذا، وإنما أخذت من المرويات الضعيفة بتفصيلاتها الواهية[٣] مما يعني تأثره عليه أفضل الصـــلاة والسلام، بما أخبره به الراهب بحيرا والراهب نســـــطور

---

(١) طفولة النبي ﷺ للأطفال، ص ٣٧، ٤٠، ٤٣ ؛ ومجموعة سيرة الرسول ﷺ النشـــأة، ص ١٠، ١٣، ١٥، ١٨، ١٩؛ و سيرة خاتم النبيين للبنات والبنين محمـــد ﷺ الفتـــى، ص ٨، ١٠، ١٧ ١٨، ٢٣، ٢٥؛ ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم في بيـــت جـــده عبد المطلب، ص ٥، ٦، ١٣، ١٥ .

(٢) الترمذي، صحيح سنن الترمذي ؛ تحقيق محمد ناصر الدين الألبـــاني (الريـــاض: مكتـــب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٨م) أبواب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبـــي ﷺ، ١٩١/٢، وقد صححه الشيخ الألباني رحمه الله، ويلاحظ في هذه المروية الصحيحة أنه لم يذكر اسم الراهب .

(٣) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله (الرباط: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ١٩٧٦م) ص٥٣- ٥٥، وقـــد رواها دون إسناد؛ ابن ســـعد، الطبقـــات الكبـــرى (بيـــروت: دار صـــادر، ١٩٦٠م) ١٥٣/١-١٥٥ .

ومما سمع من بعض الروم عن النصرانية، وبذلك يكون ما جاء به إنما هـــو لون جديد من النصرانية متأثراً بكل ما سمع، وأن تحنثه قبل البعثة ما كان إلا تقليداً لما رأى من زهاد النصارى، فمنهم أخذ تعاليمه في ترك الأصنام، كما يزعم المســـتشرقون[1]، فنبوته والحال هذه إنما هي أمر باطني داخلي لا علاقة له بالوحي.

أما سماعه أخبار الأمم الغابرة وقصصهم فهو مما دسّ المستشرقون[2]، وعنهم نقل بعـــض الكتّاب[3]، والمجازفة الخطـــيرة في إيراده تقود إلى أن ما ورد عن قصص الأولين في القرآن الكريم إنما كان ما أخذه الرسول ﷺ وهو فتى، ولم يكن وحياً يوحى إليه، وتفنّد الآية القرآنية: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ ﴾ (هود:٤٩) هذا الدسّ الباطل[4].

---

(١) بودلي، ر. ف.، الرسول: حياة محمد، ترجمة عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج (القاهرة : دار الكتاب العربي، ١٩٤٦م) ص ٤٩، ٦٥؛ مناهج المستشرقين فـــي الدراسات العربية الإسلامية (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخلـــيج، ١٩٨٥م) ١٣١/١، ٣٥٣ ؛ ودرمنغم، حياة محمـــد، ص ٥٠، ١٠١؛ ينظـــر الســـيرة النبويـــة الصحيحة، ص١١٠.

(٢) ينظر على سبيل المثال: درمنغم، حياة محمد، ص٣٣ .

(٣) ينظر: هيكل، حياة محمد، ص٣٣؛ عبد الرحمن الشرقاوي، محمد رســـول الحريـــة، ط٢ (بيروت : العصر الحديث، ١٩٨٦م) ص ٣٤ .

(٤) ينظر أيضاً: سورة آل عمران، الآية٤٩؛ سورة يوسف، الآية ١٠٢ .

٤- ذكر في بعض الكتب أن جبريل عليه السلام جاء النبي ﷺ وهو نائم في ابتداء الوحي[(١)]. هذه مغالطة خطيرة تستند إلى خبر ضـــعيف[(٢)]، وفي الصحيح أن الوحي أتاه في اليقظة[(٣)]، والمغالطة بدورها تفضـــي إلى تعزيز افتراء يقول: إن ما جاء به النبي عليه أفضل الصلاة والسلام إنما هو أمر نابع من نفسه وعقله، وهذا بدوره يؤدي إلى فرية أخـــرى لا تقـــل خطورة عن سابقتها، وهي أنه كان يستدعي الوحي من داخله بعـــد أن هيأ نفسه لذلك[(٤)].

ويهمنا في هذا الأمر رد فعل أولاد الأمة عندما يقرأون كلاماً مثـــل هذا عن تلقي الوحي، ثم هم يتعرضون لمفتريات المستشـــرقين في شـــأن التراث كله على وجه العموم، وفي أمر الســـيرة النبويـــة علـــى وجـــه الخصوص، فيتقبلون هذا وذاك وقد تهيأوا لذلك في معزل عن التحصـــين الفكري والثقافي المرجو.

---

(١) عظماء الإسلام، خديجة بنت خويلد (بيروت: المكتب العالمي، ١٩٨٩م) ص٥٣-٥٤؛ مجموعة سيرة الرسول ﷺ، الوحي، ص ١٦؛ سيرة خاتم النبيـــين للبنـــات والبنـــين محمد ﷺ، الرسول، ص ١٧-١٨ .

(٢) سيرة ابن إسحاق، ص ١٠٠-١٠١؛ ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، راجع أصولها محمد محيى الدين عبـــد الحميـــد (القـــاهرة، ١٩٣٧م) ١/٢٥٤-٢٥٥؛ والســـيرة النبويـــة الصحيحة، ص ١٢٨ .

(٣) صحيح البخاري، كيف كان بدء الوحي، ١/٣.

(٤) ينظر مناهج المستشـــرقين، ١/٢٢٢- ٢٢٣، ٢٣٣؛ الســـيرة النبويـــة الصـــحيحة، ص١٢٩-١٣٠ .

٥- ورد أنه عليه الصلاة والسلام حاول أن يتردى من رؤوس شواهق الجبل عندما فتر الوحي فترة، وقد جاء النص في كتاب موجه للأولاد صريحاً : «حينما هم محمد ﷺ[١] بالانتحار»[٢] . هذا كلام يظهر جهلاً في التفريق بين الحديث الموصول والحديث المرسل الذي جاء فيه عرضاً كحديث عائشة رضي الله عنها هذا، الذي جاءت في آخره الزيادة المرسلة[٣]، وهي زيادة منكرة من حيث المعنى، فإنه لا يليق بالنبي ﷺ المعصوم أن يحاول قتل نفسه بالتردي من الجبل مهما كان الدافع لذلك[٤]، وهو القائل عليه أفضل الصلاة والسلام : « **مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**»[٥].

إن هذا كلام يظهر الجهل في التفريق بين الأخبار الصحيحة والزيادات المنكرة فيها، هذا إذا كان الكتّاب في الأصل قد اعتمدوا على الأخبار الصحيحة الواردة عند البخاري، رحمه الله، على سبيل المثال، في مجال السيرة، فالنقل يتم دون تمحيص أو تدقيق، فتؤخذ نتف من هنا

---

(١) هكذا وردت ! .

(٢) عظماء الإسلام، خديجة بنت خويلد، ص ٤٧، وص ٥٤- ٥٥؛ ينظر مجموعة سيرة الرسول ﷺ، الوحي، ص٢٤ .

(٣) صحيح البخاري، باب التعبير، ٣٠٨/٩ .

(٤) محمد ناصر الدين الألباني، دفاع عن الحديث النبوي والسيرة (دمشق: مؤسسة الخافقين، ١٩٧٧م) ص٤٠- ٤٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه، ١٨١/٧.

ونتف من هناك مع الاهتمام بالأخذ من مفتريات المستشرقين إما جهلاً وإما عمداً، والطامة الكبرى أن يقرأ أولاد الأمة هذا.

٦- ذكر أن الشيطان قد ألقى في قلب الرسول ﷺ وعلى لسانه عبارتين أضافهما الرسول، عليه أفضل الصلاة والسلام، بطريقة لا شعورية إلى آيتين من سورة النجم[١]، وهذه قصة الغرانيق. لقد تعددت روايات القصة، وليس فيها ما يصلح للاحتجاج فيه، لا سيما في مثل هذا الأمر الخطير، فهي باطلة سنداً ومتناً لأنها مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة[٢]، كما أنه يصطدم مع عصمة النبوة في قضية الوحي ويعارض التوحيد وهو أصل العقيدة الإسلامية[٣]. أما تصحيح بعض المستشرقين لها[٤] فلأن هذا مما يوافق أهواءهم في هجومهم على الإسلام وبيان الثغرات الخطيرة فيه[٥].

ذلك ما كان من شأن بعض مما ورد في كتب الأطفال عن السيرة النبوية والرد عليه بشيء من الإيجاز.

---

(١) عظماء الإسلام، خديجة بنت خويلد، ص٩٤-٩٧.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٥٢م).

(٣) السيرة النبوية الصحيحة، ص١٧١.

(٤) Muhammad Prophet and Statesman, p.61.

(٥) ينظر السيرة النبوية الصحيحة، ص ١٧٢.

خلاصة:

إن تأمل ما يكتب عن السيرة النبوية لأولاد الأمة، وقد رأينا نمـــاذج منه، يقود إلى موضوع الطرح من جهة والتوجه إليهم من جهة أخـــرى. فأما الطرح فقد أشرنا إليه في موضع سابق حيث إن المادة المقدمة تميـــل بصورة عامة إلى تقليد يعتمد على تسلسل حوادث السيرة اعتماداً كبيراً، فالسيرة في أدب الأطفال تكاد لا تخرج عن إطار مرويات تحتشد بأخبار يحرص مدونوها على أن تكون طريفة وظريفة، وكأن المسألة هنا هي سرد حكايات مشوقة زاخرة بالغريب من الأخبار، أما الأخبار الضعيفة فحدّث عنها دون حرج، وبذلك تبقى السيرة حبيسة قمقم التكرار. ولأن مسألة الشكل في أدب الأطفال لها أهميتها من حيث الأسلوب والعرض، فإنهـــا تصبح هي المقدمة على قضية المضمون، فالتشويق المتضمن في المادة لابـــد أن تكون له الأولوية، وعليه تستبعد المروية الصـــحيحة وتقـــدم عليهـــا الضعيفة أو الواهنة بحجة أن الأخرى تحمل في طياتها عناصـــر الجـــذب للأطفال، هذا إذا كان أمر التمييز بين الصحيح والضعيف من الروايـــات قائماً في الأصل. فنحن إذاً أمام مسألة خطيرة قد جعلت من السيرة برمتها حكايات تكتب وتروى كما تكتب وتروى الحكايات الشعبية، وهكـــذا تفقد السيرة قيمتها الحقيقية في أدب الأطفال.

وهنا أمر على غـــاية من الأهمـــية يتمثل في حشد لابأس بـــه مـــن أخبار مدسوســـة وملفقة تدخل في باب الغزو الفكري، وقد جنّـــد لـــه (الآخر) طاقـــات من الخارج والداخـــل حتى تكون الإصابة في مقتـــل، فلا مانع من أن يذكر في معرض السيرة أن الرسول ﷺ كان قد أصـــيب وهو صغير بمرض، فيتلقى الأولاد هذا الخبر علـــى أنـــه مـــن الأخبـــار الصحيحة، ثم يأتي خـــبر مدسوس يفيد أنه كان مريضـــاً بالصـــــرع، فيتقبلوه قبولاً حســـناً دون شك أو ريبة، وبذلك يتم التشـــكيك في أمر الوحي بأكمـــله وهم يرضعون من لبان عقل (الآخر) المشبع بالماديـــة، المغرر بالمنهج العلمي[1].

ولا مانع من أن يذكر في ثنايا السيرة أنه عليـــه أفضـــل الصـــلاة والسلام، قد استمع إلى أخبار الأمم الماضية أثناء جولاته، ليكـــون هـــذا الخبر الباطل دساً خبيثاً يقبله الأولاد ويبقى في عقولهم ونفوسهم عنـــدما يواجهـــون من الداخل والخارج بحملة شرسة مفادها أن ما جـــاء بـــه الرسول ﷺ لم يكن من الوحـــي، وإنما كان مما سمعـــه من حوله، وقد لا يترددون في قبول أن القرآن الكريم كله من تأليف النبي عليـــه أفضـــل الصلا والسلام، كما يزعم مستشرقون، وأنه مما لفّقه من كتب اليهـــود والنصارى. فلا يكتفى بتعطيل الكبار وتحجيم طاقاتهم وعزماتهم لخدمـــة

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٥.

الإسلام، بل تطال الإصابات الأولاد، ويتم التشكيك بالقرآن الكريم في محاولات خبيثة لزعزعة أركان الإسلام، وبذلك يقضى على حاضر الأمة ومستقبلها معاً.

وأما التوجه والرؤية والمنهج في تقديم السيرة فهي تعتمد كذلك على جملة أمور تجعل من السيرة قصة عظيم من العظماء قد مضت أخباره، ولكن تبقى ذكراه تنشد في الموالد، فتغيب الرؤية الصحيحة، ويترتب على ذلك إسقاط السيرة كمنهج متكامل في التغيير والتحويل الثقافي وحسن التعامل مع (الآخر) وامتلاك القدرة على إيجاد النماذج القادرة على حمل أمانة الاستخلاف والعمران[1]. وقد يقول قائل: إن هذا كلام أكبر بكثير من أن يدركه الأولاد على اختلاف مراحلهم العمرية، فهم على حد قوله غير قادرين على استيعاب المنهج وإدراك قيمته وأبعاده وتطبيقه في الحياة، ونرد عليه بالقول: إن كثيراً من الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين وتابعي التابعين وغيرهم كانوا صغاراً، وقد تمكنوا بعون الله وفضل من استيعاب معطيات السيرة وهم يعيشونها قولاً وعملاً، وتحقق بأيديهم بقاء دولة الإسلام كما أرسى الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام دعائمها ورفع بنيانها، لقد وجدوا القدوة الحسنة في الرسول ﷺ، واتبعوه

---

(١) برغوث عبد العزيز بن مبارك، المنهج النبوي والتغيير الحضاري، مقدمة عمر عبيد حسنه (الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٥ م) ص ٩.

كما عملوا بدعوته وأعملوا عقولهم وقلوبهم واجتهدوا وبذلوا الغالي لنصرة الله. فهل يجد أولاد الأمة اليوم في الرسول قدوة حسنة؟ وهل يرون في الكبار ما يعينهم على تفهم هذا واستيعابه قولاً وفعلاً ؟ هل يدرك الأولاد معنى القدوة الحسنة وهم ينتزعون من قيمهم ويلقون في ساحات (الآخر) الفكرية والثقافية؟

إن القضية المهمة في الأمر هي الوقوف والتأمل في السيرة والتبصّر بمراحلها، وإدراك ما وضع الله عز وجل فيها من منهج الحركة حتى التمكن في الأرض وتحقيق مهمة الاستخلاف الإنساني والعمراني والبشري في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة[1]، فهي سيرة تحتوي على جميع مراحل المجتمع القدوة[2]. والمطلوب هو استيعاب هذه المراحل وموازنتها بواقع الأمة، ابتداءً من مرحلة الاستضعاف والاحتفاظ بالإيمان في القلب حتى تتوفر الإمكانات وتتهيأ الشروط لمرحلة التمكين في الأرض والدفاع عن قيم الإنسان[3]، فينشأ مجتمع العدل والإحسان وإعطاء كل ذي حق حقه، وهو المجتمع المنفتح على (الآخر) يتعامل معه بالعدل دون ظلم أو تعدٍ، في إطار الشرع الحنيف.

---

(١) المرجع السابق، ص ٨ .

(٢) المرجع السابق، ص ٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٠.

إن ما يهمنا في تقديم السيرة لأولاد الأمة بيان قدرة المسلمين على بناء حضارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالحكمة والموعظة الحسنة، وما يحمل هذا كله من خير للعالمين، وليس للمسلمين وحدهم، هذا التبصّر والفهم والإدراك يتطلب عزمات رجال أقوياء صابرين مجاهدين بالكلمة والقلم والفعل يتوجهون لأولاد الأمة بكل ما أوتوا من قوة، منطلقين من نواياهم الخالصة لله وحده، فيكبر الأولاد وهم مؤهلون للقيام بدورهم في التغيير والبناء الحضاري، متبصرين بالسيرة، فالسيرة محل اقتداء، والرسول ﷺ القدوة الحسنة، مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

الفصل الرابع

من أخبار الصحابة في أدب الأطفال

اهتم نفر من كتاب أدب الأطفال بأخبار الصحابة، رضوان الله عليهم، وأدلوا بدلوهم في الكتابة للأطفال، فخرجت إلى الساحة الثقافية سلاسل عديدة بعناوين متنوعة مثل «عظماء الإسلام» و «من أعلام الصحابة» و«العشرة المبشرون بالجنّة » و «أعمدة الإسلام» تناولت سير الصحابة، رضي الله عنهم، وما بذلوا من غال في سبيل رفعة هذا الدين. وإن كان في تلك السلاسل خيراً، إلا أنها حوت كثيراً من الأخبار التي تسيء إلى الصحابة وتترك أثرها غير الحميد في نفوس أولاد الأمة.

إن الحديث عن الصحابة، رضوان الله عليهم، هو حديث عن جيل ربّاه الرسول ﷺ، وتمكّن من إقامة دولة الإسلام، وأصبح دلالة كبيرة على نجاح تربيته ﷺ ومعلوم أنه لم يسبق لنبي أن ربى جيلاً بأكمله كما فعل النبي عليه أفضل الصلاة والسلام[1]، ولعل من الضروري ذكر صفات هذا الجيل، الذي وصفهم الله عز وجل في محكم التنزيل بقوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

---

(١) أكرم ضياء العمري، الرسالة والرسول (د.م:د.ن، ١٩٩٠م) ص١١١- ١١٢ .

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح:٢٩)، كما ذكرهم الله في مواضع عدة من القرآن تنبيهاً للمسلمين إلى ذلك الجيل، الذي بلّغ الرسالة وأدى الأمانة وحفظ القرآن والسنة وعمل بهما، وكان من حكمة الله عز وجل أن وصلنا القرآن والسنة سالمين محفوظين بحفظ الله تعالى لهما[1].

لقد كان الصحابة، رضي الله عنهم، مثلاً علياً للمسلمين في كل زمان ومكان يسترشدون بسيرهم، وهي السير المنيرة في الحرب والسلم والعبادة والمجاهدة والمعاملة، وهكذا قدّم الإسلام للمسلمين في مختلف العصور نماذج متنوعة صالحة للاقتداء[2]، في الشدة والابتلاء والرخاء والفرج، فهم منارات ترشد المسلمين وتنير لهم الطريق وتعينهم عندما يرون فيهم مجاهدين مؤمنين محتسبين ثابتين، وهم معلّمون مصلحون عاملون يؤثرون على أنفسهم[3]، وهم الأمنة لهذه الأمة كما قال عنهم

---

(١) المرجع نفسه، ص ١١٢ .

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٢ .

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٢ .

الرسـول ﷺ: « النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَت النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَـدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَـدُونَ»[1]، فهم حفظـة الأمـة من ظهور البـدع والحوادث في الدين والفـتن، كما قال النووي، رحمه الله، في شرحـه للحديث[2]، وهم خير القـرون كما قال الرسول ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُـمَّ الَّـذِينَ يَلُونَهُمْ»[3].

فسيرهم الخالدة هي تحقيقٌ لخلود الدين وقدرته على إنتاج النمـاذج الإسلامية التي تتمثّل قيم الإسلام في حياتها، وقد شاء الله عز وجـل أن يظهر بهم هذا الدين، فامتدوا في الآفاق مبشرين بالرسالة، وسيرهم تحمل المدد للمسلمين أينما كانوا وفي أي عصر وجدوا، وتـزودهم بعوامـل الانتصار ومقومات الظهور، وهم النماذج القدوة، الذين عاشوا الفتـرة التطبيقية المشهود لها بالرضا والخيرية[4].

---

(١) مسلم، صيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي ﷺ بـين أصحابه رضي الله عنهم (القاهرة: المطبعة المصرية، ١٩٣٠ م) ١٦/٨٢-٨٣ .

(٢) المصدر نفسه، كتاب فضائل الصحابة، ١٦/٨٣ .

(٣) صحيح البخاري، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٥/٢-٣ .

(٤) محمود شيت خطّاب، عمرو بن العاص رضي الله عنه: القائد المسلم والسفير الأمـين، مقدمة عمر عبيد حسنه (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٦ م) ٢/١٠.

ذلك هو جيل الصحابة الذي تربى في مدرسة النبوة، فماذا يقرأ أولاد الأمة عنه؟ نقدم فيما يلي نماذج منتقاة عما كتب عن الصحابة، رضي الله عنهم، في كتب الأطفال:

١- **عثمان بن عفان**، رضي الله عنه:

تكاد معظم الكتب التي تتناول سنوات خلافته الأخيرة أن تجمع على ضعفه وعجزه عن إدارة شؤون البلاد والعباد، وعلى محاباته لأقاربه، فإنه كان يستمع إلى آرائهم ويعطيهم مراكز في الحكم، فيستغلون هذا في تحقيق مآرهم ويفسدون، هو خليفة يعد ويخلف، وكان موقفه من أبي ذر الغفاري، رضي الله عنه، موقفاً ظالماً، وقد أسهم ولاته إلى حد كبير في الفتنة التي وقعت له، وكان أن كرهه الناس ونقموا عليه[1].

يعكس هذا الموقف من الخليفة، رضي الله عنه، أحكاماً مسبقة جائرة تدل دلالة ساطعة على جهل مطبق بالتعامل مع سيرة هذا الخليفة على وجه الخصوص، وسير الصحابة، رضي الله عنهم، على وجه العموم، بمعزل عن المنهجية الصحيحة في تناول أخبار سيرته، فهو من العشرة المبشرين بالجنة، وهو جامع القرآن، وهو الخليفة التي امتدت الفتوحات في

---

(١) ينظر على سبيل المثال: قصص الخلفاء الراشدين، فتح إرمينية (القاهرة: مكتبة مصر) ص٣، ٤، ١٤؛ عثمان وثورة الأمصار، ص٢-٣؛ مقتل عثمان، ص ٨-٩؛ عثمان بن عفان ذي النورين (صيدا: المكتبة العصرية) ص ١٥- ١٩؛ تاريخ العرب والمسلمين للفتيان والفتيات، عثمان بن عفان (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٧م) ص٦٦- ٦٧.

عصره إلى آفاق، وفضائله عديدة يحاول أعداء الإسلام طمسها لإبراز مفتريات ضالة في حقه[1].

٢- أبو ذر الغفاري، رضي الله عنه:

يقدم هذا الصحابي في كتب الأولاد على أنه محامي الفقراء، المدافع عن حقوقهم أمام الأغنياء المترفين المبذرين المسرفين، وهو الذي نهض للدفاع عن العقيدة أمام المنحرفين المتسلطين من أمثال معاوية، رضي الله عنه، وأصحابه الذين يكنزون الذهب والفضة ويحتكرون أرزاق الناس ويرفعون راية القهر والقمع والطغيان. ونتيجة موقف أبي ذر، رضي الله عنه، لجأ معاوية، رضي الله عنه، إلى كافة أشكال التهديد والإرهاب والرشوة معه، ففشل، وأمر بإخراجه من الشام إلى المدينة المنورة، وهناك أمر عثمان، رضي الله عنه، بنفيه إلى الربذة[2].

---

(١) ينظر على سبيل المثال، في الرد على المفتريات المتعلقة بالخليفة عثمان رضي الله عنه: ابن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، ط ٤ (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٧٦م)؛ ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٩٠٤ م)؛ محمد بن عبد الله الغبّان، فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٩م)؛ للكاتب، عثمان بن عفان في أدب الأطفال (الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٨م).

(٢) ينظر على سبيل المثال: أبو ذر الغفاري (بيروت: دار العودة، ١٩٧٤م) ص١٣، ٨٨، ٩٠، ١٠٦،٩٧؛ محامي الفقراء: أبو ذر الغفاري (القاهرة: دار الشروق) ص ٣٨، ٣٩، ٤٢،٤٣ .

لقد خرجت سيرة هذا الصحابي من إطارها الحقيقي في عصر خير القرون لتدخل الإطار «الشيوعي الاشتراكي»، فتم التعامل مع من حوله من الصحابة، رضي الله عنهم، ضمن هذه الرؤية الدخيلة القاصرة، وبذلك أسيء فهم الشريعة الإسلامية في مجال كنز الأموال والزهد، فإن أبا ذر، رضي الله عنه، كان رجلاً صالحاً زاهداً، وكان مذهبه أن الزهد واجب وأن ما أمسكه الإنسان فاضلاً عن حاجته هو كنز(١)، وقد ورد في الصحيح: «عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: **يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»(٢). أما الأخبار المتعلقة بالأحوال التي أحاطت به وعلاقته بعثمان ومعاوية، رضي الله عنهما، فأكثرها مكذوب(٣).

٣- عمرو بن العاص، رضي الله عنه:

كتب عنه أنه قد لعب دوراً كبيراً في إثارة الناس على الخليفة عثمان، رضي الله عنه، لاسيّما بعد أن عزله عن ولاية مصر، وكان سعيه إلى السلطة كبيراً، وكان يطمع في فتح مصر نظراً لما فيها من خيرات، وقد

---

(١) منهاج السنة النبوية، ١٩٨/٣

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، ٢٠٩/١٢-٢١٠.

(٣) ينظر على سبيل المثال: العواصم من القواصم، ص٧٣-٧٧؛ منهاج السنة النبوية، ١٩٨/٣-١٩٩؛ عبد المجيد الأقطش، أبو ذر الغفاري وآراؤه في السياسة والاقتصاد (عمّان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٥م)؛ عثمان بن عفان في أدب الأطفال، ص ١٧، ٣٠، ٤١، ٣٣.

استخدم مكره ودهاءه ليعزل علياً ويثبّت معاويةً، رضي الله عنـــهما، في مسألة التحكيم، وقد اختاره معاوية، رضي الله عنه، ليختلـــق أحاديـــث مكذوبة منسوبة إلى الرسول ﷺ لإعلاء شأن معاوية، رضـــي الله عنـــه، والحط من شأن خصومه[1].

هذا صحابي يلقى ظلماً كبيراً وتدور حوله إساءآت شنيعة بســـبب بعدنا عن حقيقة ديننا وتاريخنا والتصاقنا بمرجعيات دخيلة غريبة هـــدفها الإساءة إلى كل ما هو خير، وهو الصحابي الذي قال عنه الرســـول ﷺ: «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ»[2]. فسيرته جديرة بالتأمل حـــتى تتمكن الأمة من التعرف إلى حقيقة أولئك الأصحاب الأخيار، رضي الله عنهم، من أجل الاقتداء[3].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: من أعلام الفتح الإسلامي: عمرو بن العـــاص (حلـــب: دار ربيع) ص ٥، ١٣، ١٤؛ فرسان الإسلام، عمرو بن العـــاص (القـــاهرة: دار الكتـــاب المصري) ص٣، ٨؛ مشاهير العرب، عمرو بن العاص فاتح مصر، ط ٧ (القـــاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥م) ص٩٠؛ عظماء الإسلام، الحسين بـــن علـــي عليـــه الســـلام (بيروت: المكتب العالمي، ١٩٩٥م) ص٢٤.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل (بيروت: دار الفكر) ١٥٥/٤؛ وقد حسّـــنه الشيخ الألباني رحمه الله، سلســـلة الأحاديـــث الصـــحيحة، ط ٣ (بيـــروت: المكتـــب الإسلامي، ١٩٨٣م) ٢٣٨/١-٢٤٠.

(٣) ينظر على سبيل المثال: عمرو بن العاص رضي الله عنه.. القائد المســـلم والســـفير الأمين .

٤- معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه:

ورد في كتب الأولاد عن هذا الصحابي أنه إمام الضلالة والكفر، كان قد أظهر الإسلام نفاقاً وأبطنه كفراً، وكانت وسيلته في التخلص من أعدائه استعمال السم، ومن ذلك أنه اتفق مع زوجة الحسن بن علي، رضي الله عنه، فدست السم له فمات، وكان يكره الحسين بن علي، رضي الله عنه، كراهية مريرة، وقد أمر بلعن علي، رضي الله عنه، على منابر المساجد، وقد كلف رجلاً بالتخلص من كل من يذكر علياً، رضي الله عنه، أو ذريته بالخير، كما طلب منه أن يهدم بيوت كل من كانت له صلة ببني هاشم، وأن يسبي نساء وبنات أتباع علي، رضي الله عنه، وكان يمنع الرزق عن كل من يعارض سياسته، وهو من أهل الدنيا لا يبالي بالآخرة ولا يعرفها.

وكان بارعاً في إثارة الخلاف بين القبائل ضمن سياسة فرّق تسد، وقد اختار نخبة من أعوانه من الصحابة، رضي الله عنهم، ليختلقوا أحاديث مكذوبة منسوبة إلى الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، كذلك استعان بالقصاصين من اليمن ليستخدم القصة سلاحاً لتمجيده وتمجيد بني أمية وذم علي، رضي الله عنه، وأثناء حكمه أنزل بالفقراء الحرمان والعذاب بعد أن رفضوا رشوته والسكوت

على أفعاله، وكان وأصحابه يحتكرون أرزاق الناس ويرفعون رايات القهر والقمع[1].

يتضح مما كتب عن هذا الصحابي، رضي الله عنه، أنه الأشد خروجاً عن منهج التعامل مع الصحابة، رضي الله عنهم، وقد قُدِّم معاوية، رضي الله عنه، على أنه رجل من رجال هذا العصر، وليس من خير القرون، يستخدم كل ما أوتي من حيلة ومكر ودهاء ليحقق مآربه في السلطة والملك، ومرد هذا كله الهوى واتباع الضلال والبعد عن الحق. فهذا الصحابي، رضي الله عنه، كان أحد كتّاب الرسول ﷺ، وقد قال عنه النبي عليه أفضل الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ**»[2]، وقد روى عن النبي ﷺ مائة وثلاثين حديثاً، وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين[3]، وقد ولاه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأقره عثمان، رضي الله عنه[4]، وكان عادلاً رحيماً حريصاً على رعيته، وكان

(١) الحسن بن علي عليه السلام (بيروت: المكتب العالمي) ص ١١٢، ١١٣، ١٢٠، ١٢١؛ والحسين بن علي عليه السلام، ص١٠، ١٣، ١٦، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٢٩، ٣٠، والحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة (بيروت: المكتب العالمي، ١٩٨٠م) ص ٥، ٨، ١٢؛ ومعاوية بن أبي سفيان (طرابلس: دار الشمال) ص ١٢، ٢٨؛ وأبو ذر الغفاري (١٩٧٤م) ص٩٧، ٩٨، ١٠١ .

(٢) صحيح سنن الترمذي، أبواب المناقب، مناقب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ٣/٢٣٦.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط.. وآخرين (بيروت : مؤسسة الرسالة،١٩٨١م) ٣/١٦٢.

(٤) العواصم من القواصم، ص٨٠-٨١ .

الناس في ولايته متفقين يغزون العدو، وقد أقام الخلافة ملكاً ورحمة، فكان الإسلام فيها عزيزاً والناس في خلافته في خير[1]. ذلك بعض مما ورد عن فضائله، فأين هذا مما يقرأ أولاد الأمة عنه ؟ !

٥- **طلحة والزبير**، رضي الله عنهما:

يذكر في كتب الأطفال أن طلحة والزبير، رضي الله عنهما، قد أكرها على بيعة علي، رضي الله عنه، وقد لجأ إلى عائشة، رضي الله عنها، وطلبا منها أن تخذل الناس عن بيعته، وكانا يصرّحان أن من قتل الخليفة عثمان، رضي الله عنه، هم بطانة علي ورؤساء أصحابه، وقد حرّضا عائشة، رضي الله عنها، على الخروج إلى البصرة طلباً لدم الخليفة المهدور، وكانا قد شهدا زوراً أمامها لكي يحولا دون أن ترجع إلى المدينة وهي في طريقها إلى البصرة، واعتبرت شهادتهما أول شهادة زور في الإسلام[2].

يعدّ كثيراً مما ورد عن الصحابيين طلحة والزبير، رضي الله عنهما، من باب الكذب هدفه النيل منهما والإساءة إلى ما فعلاه من نصرة الإسلام وأهله، وهما يقدمان كأنهما ليسا من الصحابة، بل هما رجلا دنيا يثيران الناس ويحرضانهم سعياً لتحقيق مآربهما في الإمارة والسيادة.

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٢/٢١٨؛ ٣/١٨٥، ١٨٩، ٢٥٨؛ ٤/١٢١.

(٢) العشرة المبشرون بالجنة: الزبير بن العوام رضي الله عنه (الإسكندرية : دار الدعوة، ١٩٦٦م) ص٣٣، ٣٥؛ علي بن أبي طالب (بيروت: دار الفكر اللبناني) ص ٥٦، ٥٨، ٥٩؛ مجموعة أمهات المؤمنين: عائشة السياسية، ط ٧ (القاهرة : دار المعارف، ١٩٩٠م) ص ٥، ٦، ١٦،١٧؛ عظماء الإسلام، علي بن أبي طالب عليه السلام (بيروت: المكتب العالمي، ١٩٩٥م) ص٧٨، ٧٩، ٩١، ٩٢.

٦- **عائشة**، رضي الله عنها:

صورتها كتب الأولاد على أنها المرأة التي تدفعها عاطفتها الهوجـــاء، ويقودها تهورها، وتستجيب لأهوائها، وهي تارة مع فئة وتارة مع فئـــة أخرى: فقد كانت في بداية أمرها على رأس المنتقدين لسياسة عثمـــان، رضي الله عنه، والساخطين عليها لمحاباته ذوي رحمه وتنفيذه لما يشيرون به عليه، وعمدت لذلك إلى تهييج الناس عليه وتأليبهم، واعتبرته طاغية، وقد جهرت ببغضها له، وأظهرت رغبتها في خلعه على أمل أن يلي الخلافـــة طلحة، رضي الله عنه، قريبها وزوج أختها، ثم بعد ذلك دفعتها أهواؤها إلى تدبير المكائد والمؤامرات ضد علي، رضي الله عنه، بتحريض من طلحة والزبير، رضي الله عنهما، وأخذت تثير الناس في مكة ضده، وخرجت إلى البصرة تقاتله، وتعلن أنه من قتل الخليفة عثمان، رضي الله عنه، فتشـــعل بذلك حرباً تهدر فيها دماء المسلمين. كذلك ذكرت غيرتها الشديدة من خديجة، رضي الله عنها، ومكائدها لزوجات رسول الله ﷺ[1].

---

(١) عذراء قريش (معدّة للفتيان) (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٨م) ص٧٣، ٨١، ٩٠، ٩٤، ١٠٠؛ عظماء الإسلام، عائشة بنـت الصـديق، ص ٢٠، ٢١، ٥٧، ٨٧، ٩٨، ١٠٠؛ العشرة المبشرون بالجنة: الزبير بن العوّام رضي الله عنه، ص ٣٥؛ مجموعة أمهات المؤمنين: عائشة السياسية، ص٤، ٥، ٩، ١٠، ٢٩؛ عائشة العالمـة، ط ٦ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٠م) ص ٢٢، ٣٢ .

تلك الصورة الغريبة المنكرة عن عائشة، رضي الله عنها، إنما كتبت بأقلام من لا يحسنون صنعاً ويفترون ويدسون أباطيل وأكاذيب، وهم لا يعرفون من تكون عائشة، رضي الله عنها، وما منزلتها. إنها من أكثر الصحابة رواية لأحاديث الرسول ﷺ، وكانت أحب الناس إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وقال عنها ابن تيمية رحمه الله: «وعائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن أدرك أول النبوة، فكانت أفضل لهذه الزيادة، فإن الأمة انتفعت بها أكبر مما انتفعت بغيرها، وبلغت من العلم والسن ما لم يبلغه غيرها»[1]، وقال عنها الذهبي، رحمه الله: «ولا أعلم في أمة محمد ﷺ، بل وفي النساء مطلقاً، امرأة أعلم منها»[2]، وكانت منزلتها عند الله عز وجل ذات شأن، فقد روى البخاري قول الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا**»[3]، وفضائلها أكثر من أن تحصى في هذا الرد الوجيز.

---

(١) منهاج السنة النبوية، ١٨٢/٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٠٤/٢ .

(٣) صحيح البخاري، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها، ٣٧/٥ .

كلمة:

لقد دفع الاهتمام بأخبار الصحابة، رضي الله عنهم، جملة من الأقلام لتقديمها بصورة واسعة، فظهرت نتيجة لذلك سلاسل متعددة العناوين غلب على كثير منها السرد التقليدي، كما أنها كانت في أغلب الأحيان موجهة لمرحلة عمرية متأخرة (من ١٢ إلى ١٥ سنة) على وجه التقريب، ولم يكن لأطفال ما قبل هذه المرحلة نصيب في التعرف إلى أخبارهم، ويتطلب هذا الأمر إعادة نظر في الكتابة للمراحل العمرية المختلفة حتى تحصل على نصيبها من هذا الزاد الخيّر، فتؤدي فعلها في البناء والظهور والارتقاء على أحسن صورة.

ونحن إن تجاوزنا الجانب الشكلي، رغم أهميته عند المتلقي، نجد أن المادة التي تشكل أساس هذه الكتب تعتمد اعتماداً كبيراً على مراجع ثانوية معاصرة كتبت في الأصل للكبار، فما كان إلا أن تنقل مواد تلك المراجع إلى كتب الأطفال، مع إجراء تعديلات طفيفة هنا وهناك، دون مراعاة للغة المتلقي وإمكاناته في الفهم والاستيعاب، ودون اهتمام حقيقي بالمادة نفسها، فلا يمكن للأولاد على سبيل المثال أن يستوعبوا كل ما حوته تلك المراجع، فهناك أخبار ومواقف وقضايا في حياة الصحابة، رضي الله عنهم، تتطلب عقلاً ناضجاً لاستيعابها وتقديرها، مثل فتنة استشهاد عثمان، رضي الله عنه، وهذا الأمر لا يتسنى لطفل في الثاني

عشرة من عمره، هذا إذا كنا نتحدث عن الأخبار الصحيحة، وهذه الكتب المراجع تحتشد بعدد من الأخبار الضعيفة الواهية والموضوعة.

وإذا ما تيسّر لكتّاب الأخذ من مصادر متقدمة نسبياً مثل تاريخ الرسل والملوك للطبري ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، وهي المصادر المتداولة بين أيدي الكتّاب، فهناك آلاف المرويات التي تحتويها تلك المصادر تحتاج تمحيصاً وتدقيقاً، فليس كل ما ورد فيها من تلك الأخبار صحيحاً.

وفي الحديث عن المرويات التاريخية التي تضمها كتب التاريخ المتقدمة مثل كتابي الطبري والمسعودي نتناول مسألة الإسناد، فنقرأ منهج الطبري الذي بينه في مقدمة كتابه، فإنه يقول:

«وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل فيه،... فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض قائليه إلينا، وإنّا إنما أدّينا ذلك على نحو ما أدي إلينا»[1].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩ م) ١/٧-٨.

يدرك المتأمل لقول الطبري، رحمه الله، أنه إنما هو راو للروايات، وهذا يضع القارىء لكتابه أمام حشد كبير من الأخبار، كما يضعه أمام مرويات أكثر حشداً، فإن حادثة واحدة قد رويت بأسانيد مختلفة في حالات كثيرة، وهذا يتطلب اختيار الرواية الصحيحة للحادثة اعتماداً على أحوال الرواة، ولا يتم ذلك إلا بعزمات رجال قادرين على التعامل مع تلك الأخبار وبيان أحوال رواتها حتى يعرف صحيحها من سقيمها.

وبالمقابل نتحدث عن كتاب المسعودي، وهو كتاب زاخر بأخبار الصحابة، رضي الله عنهم، إلا أن كاتبه قد اكتفى برواية الأخبار دون ذكر أسانيدها، فالأخذ من كتابه يمثّل مجازفة، لا سيما لمن لم يمتلك الرؤية الصحيحة والمنهج القويم وأدوات الكتابة الصحيحة.

ومما لا شك فيه أن مسألة الكتابة الصحيحة عن الصحابة، رضي الله عنهم، إنما تكون بالاستناد إلى المصادر الموثوقة الصحيحة التي في مقدمتها كتاب الله عز وجل، ففيه ذكر لصفاتهم وخصائصهم وجهادهم، وهو يشكل أساساً متيناً للحديث عنهم وتناول أخبارهم ؛ ثم ما صح عن النبي ﷺ من أحاديث فيهم، وهذه تمثل أساساً ثانياً لحديث عنهم بتفصيلات كثيرة دقيقة تعطي لكل صحابي حقه؛ وهناك المرويات التاريخية وشرطها أن تكون مسندة صحيحة الأسانيد يرويها أصحاب

المصنفات الحديثية والتاريخية، أو التي خصصت لتراجم الرجال بأسانيدهم الصحيحة إلى شاهد عيان[1].

يتفق هذا الضبط في نقل أخبار الصحابة، رضي الله عنهم، مع مكانتهم وموقعهم في تاريخ الأمة ودورهم في حماية الإسلام وظهوره وانتشاره، فإنهم قد «حفظوا (سنن رسوله ﷺ) عليه وبلغوها عنه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين ودوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام»[2].

ولكن الواقع في تقديم أخبار الأصحاب، رضي الله عنهم، بعيد عن الصحة بعد السماء عن الأرض، وهنا تستوقفنا فترة زمنية سبقت استشهاد الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وما أتبعها من حوادث، وهي سنوات تغطي مساحة شائكة في أخبار الصحابة قد تحيّر وتربك من يريد أن يخوضها، لا سيما في أدب الأطفال. ومعروف أنها الحقبة التاريخية التي شاعت فيها فتنة استشهاد الخليفة عثمان، رضي الله عنه، وموقعتي الجمل وصفين والتحكيم شيوعاً أكبر بكثير مما كان فيها من مواضع

---

(١) فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، ٦/١ – ٧ .

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: دار نهضة مصر) ١/١-٢ .

القدوة، وما كان فيها من العدل والإنصاف[1]، وطغت عليها أخبار السوء والكذب، وأخذ مروجون يدونون مرويات واهية محتشدة بالإساءات والمغالطات والمفتريات في حق الصحابة، رضي الله عنهم، وبقيت تلك المرويات تتأرجح بين المروجين لها، أصحاب الأهواء والتشرذم والتعصب، وبين المدافعين عن الحق المنافحين عن الأصحاب الذين أسيئ إليهم.

وفي عصرنا، عصر الضعف والتخاذل والانفلات من ضوابط الحق واتباع الهوى، انتقلت مرويات السوء إلى كتب الأولاد، حيث يقول من يريد ما يريد بعيداً عن التخصص والالتزام بالحق، وأضيف إليها ما أضيف من ضلالات وجهالات بحكم التعصب والميل والجهل والبعد عن الحق واتباع أقلام مستشرقين على زعم أنهم يكتبون بموضوعية وأسس علمية عن الإسلام وأهله، وفي هذه الحالات كلها تغيب أخبار الحق عن كتب الأولاد.

والحديث عن تلك الحقبة الزمنية التي اختلطت فيها أخبار الحق بأخبار السوء يقودنا إلى الحديث عن علماء الأمة، الذين بذلوا وما زالوا يبذلون جهوداً لإبلاغ الحق وإظهاره استناداً إلى مصادر موثوقة صحيحة الأسانيد، فإن تدوين ما جرى بين الأصحاب، رضي الله عنهم، لا بد أن

---

(١) فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، ١/٨ .

ينطلق من قاعدة سليمة صحيحة مؤسسة على مكانتهم في الأمة ودورهم في حماية هذا الدين وحمله وإظهاره. ونستأنس في هذا المقام بما قال ابن تيمية رحمه الله وهو يتحدث عما جرى من حوادث وخلاف: «كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيراً من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال إذا كان كثير من الخوض في ذلك أو أكثره كلاماً بلا علم، وهذا حرام... فمن تكلم في هذا الباب بجهل أو بخلاف ما يعلم كان مستوجباً للوعيد، ولو تكلم بحق لقصد الهوى لا لوجه الله تعالى أو يعارض به حقاً آخر لكان أيضاً مستوجباً للّوم والعقاب»[1]، واتباعاً لهذا المبدأ فإن الإمساك عما جرى بين الصحابة في أدب الأطفال أولى وأشد، لأن هذا الأدب يبين القيم ويسهم إسهاماً كبيراً في التربية.

ومن المجازفات في الكتابة عن الصحابة، رضي الله عنهم، أن أهل الأهواء يميلون نحو صحابي فيجعلونه معصوماً من الذنوب، ويوجهون سهام الحقد نحو آخر فيجعلونه مأثوماً فاسقاً أو كافراً، ويُظْهر هذا جهلهم وتناقضهم[2].

وقد وقعت كتب الأطفال في مصيدة التعصب والتشرذم والتحيّز بعيداً عن إدراك أقلامها لحقيقة الصحابة، رضي الله عنهم، فهم بشر غير

---

(١) منهاج السنة النبوية، ١٨٤/٢ .

(٢) المصدر نفسه، ١٩٠/٢ .

معصومين يجري عليهم الخطأ والصـواب، وقـد اجتهـدوا وأصـابوا وأخطأوا[1]. إن نزع الصفة البشرية عن جيل الصحابة، رضي الله عنهم، وادعاء العصمة لهم إنما يؤدي إلى خلل في رسالة الإسلام، فإن هذه الصفة واقعية تتعامل مع الناس من خلال الحالات التي هـم عليهـا، وليسـت صفتهم خيالية عصيّة عن التطـبيق[2]، والخطورة في هذه الرؤية وتبنـيها إنما يفضي إلى التعامل مع الأصحاب على أنهم نماذج لا يمكن أن تطبـق بشريتهم بسبب عصمتهم المزعومة. وهذا بدوره يفقد مواقعهم ومواقفهم حقيقة تنـزيل القيم الإسلامية على أرض الواقع، فتخسر الأمة مرجعيتها في التعامل معهم على أساس أنهم بشر.

ونتنقل من حال ادعاء العصمة للصحابة، رضي الله عنهم، إلى حال سبهم وشتمهم، وهذا بدوره يؤدي إلى مجازفة لا تقـل خطـورة عـن سابقتها، وهو أمر لايعيه أصحاب الأهواء وأهل الجهل والغفلة والتعصب ونحن بصدد الحديث عن تربية أولاد الأمة وبيان مرتكزات دينهم ورجاله الذين أظهروه، وتستوقفنا هنا كلمات النبي ﷺ وهو يحذرنا من الإسـاءة إلى الصحابة، رضي الله عنهم: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ**

---

(١) ينظر على سبيل المثال إلى نماذج من وقوعهم في الخطـأ وعـودتهم إلـى الحـق وتوبتهم، عمرو بن العاص رضي الله عنه: القائد المسلم والسفير الأمين، ١/٢٤-٢٨.

(٢) المرجع نفسه، ١/٢٩.

مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»[1]، وقد قال الإمام النووي، رحمه الله، في شرحه للحديث: «واعلم أن سبّ الصحابة، رضي الله عنهم، حرام من فواحش المحرمات، سواء ما لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون»[2].

إننا أمام توجيه تربوي حميد من عالم من علماء الأمة ينبهنا إلى ضرورة الامتناع عن الإساءة إلى الصحابة، رضي الله عنهم، فإن الطعن بهم إنما هو طعن بالدين الذين هم رواته، وتشويه سيرتهم هو تشويه للأمانة التي حملوها وتشكيك في جميع الأسس التي قام عليها هذا الدين[3].

ويستوقفنا هنا ما يكتب عن الصحابي معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، من إساءات تترى ومفتريات كاذبة، فإن كان هذا الصحابي على ما يزعمون من مواقف وسلوك، وحاشا له ذلك، فكيف أمّنه الرسول ﷺ ليكتب له؟ ألا يمكن لهذا أن يثير شكاً عند الأولاد وهم يتعرضون لمفتريات وأكاذيب في حق الإسلام وأهله؟ ألا يدفعهم هذا إلى الطعن بالدين والتشكيك في أسسه؟ والأمر ذاته ينطبق على عائشة، رضي الله عنها، فإنها كما تصورها بعض الأقلام هوجاء تستجيب لأهوائها، وتحقد

(١) صحيح البخاري، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٥/١٠.
(٢) صحيح مسلم، باب تحريم سبّ الصحابة، ١٦/٩٣.
(٣) العواصم من القواصم، مقدمة محب الدين الخطيب، ص ٧ .

على بعض الصحابة، رضي الله عنهم، وتثير الناس من حولها، وحاشا لها هذا. هذه الأباطيل في حقها من شأنها أيضاً أن تثير الشك عند الأولاد، ولعلهم يسألون: كيف تكون هي من أكثر الصحابة رواية عن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وهي على تلك الصورة؟ فلا بد من التشكيك بروايتها، ومن هنا يكون الطعن بالدين وحملته، ومن هنا تبدأ عملية هدم الإسلام في عقول ونفوس وقلوب أولاد الأمة بأيدي مسلمين. وربما استهان الناس بهذه المسألة في كتب الأطفال، وما أدركوا أنها تعني ضياع المرجعية من أجل بناء القاعدة الصلبة ، وضياعها يعني الضلال الثقافي والإصابات الثقافية[1].

إن ما يدور في كتب أولاد الأمة أمر يثير العجب والذهول، فهناك يحسن من يكتب عن خصائص وصفات بعض الأصحاب وعبادتهم وإيمانهم، وعندما يأتي الحديث عن الممارسات السياسية العملية ترسم لهم صور من المكر والكذب والخداع والغش ونقض العهود والانكباب على الدنيا[2]، وهذا يعود إلى الفكر الذي يأسرنا ويحجب الرؤية، وهو فكر يوهن قيمة الأصحاب ويحط من قدرهم ويدعي بأنهم جيل فتن واغتيالات وحروب واستبداد سياسي وظلم، والقصد هو قطع الأمة عن جذورها،

---

(١) عمرو بن العاص رضي الله عنه: القائد المسلم والسفير الأمين، ١/٣٦ .

(٢) المرجع نفسه، ١/٣٢ .

ولعل هذا مرده إلى واقع الفصام الفكري والثقافي الذي تعيشه الأمة[1]، وترضعه لأولادها دون إدراك لعواقبه الجسيمة، فتربيتهم إنما تنبع من واقعنا المرهون بالفصام الثقافي الفكري، وهو ما أخذناه من فكر (الآخر) وسلوكه، فـ(الآخر) يؤكد على الدوام أن الدين شيء والحياة شيء آخر، والعبادة بمفهومها الكهنوتي إنما هي بين الله عز وجل وخالقه، أما الحياة بممارساتها المتنوعة فلا بد أن تنفصل عن الخالق وشرعه حتى تسير الأمور سيرها المطلوب وفق فكر (الآخر)، فلا بأس بالغش والتزوير والخداع والكذب والاحتيال والقتل تحقيقاً للمصالح. لقد أصبحنا مكبلين بقيود فكر (الآخر) وفلسفته في الحياة ونحن نتحدث عن خير القرون[2].

لقد صان الصحابة، رضي الله عنهم، الأمانة وحملوها وحفظوها وأوصلوها إلى غيرهم، وكانوا أسمى أخلاقاً وأصدق إخلاصاً وترفعاً عن الدنيا من أن يختلفوا لها[3].

---

(١) المرجع نفسه، ١/٣٢-٣٣ .

(٢) المرجع نفسه، ١/٣٢، ٣٧ .

(٣) العواصم من القواصم، ص ٦.

الفصل الخامس

التاريخ الإسلامي في كتب الأطفال

ماذا يقرأ أولاد الأمة عن التاريخ الإسلامي؟ ما الأشكال الفنية الـتي تقدم هذا التاريخ ؟ هل تمكن الكتاب من أن يقدموا المطلـوب في هـذا الشأن؟ هل استطاعت كتب الأطفال أن تسهم في نهـوض أولاد الأمـة وتحفّز عندهم الهمم ليؤدوا دورهم في البناء؟ تلك بعض الأسئلة التي تلـح علينا عند الحـديث عن التاريخ الإسـلامي، وهو تاريخ يمثّـل تجربـة إنسانية غنية نابعـة من دين ارتضاه الله عز وجـل لعباده، فإنه تـاريخ يحمل في ثناياه زخماً ثراً للفعل الحضاري المنشود لهذه الأمة في هذا العصر وفي كل العصور.

ليس التاريخ الإسلامي حوادث مثيرة وطريفة وظريفة تقدم لأبنائنـا للإثارة والتشويق على غرار ما تقدم أعمال تلفازية تكاد لا تنقطع نهـاراً وليلاً وهي تحمل لهم الدخيل والغريب أكثر مما تحمل من الأصيل لتبعدهم عن واقع يجب أن يكونوا فيه، وهو ليس قراءة للفخر والاعتزاز والهتـاف للأجداد تقف عنده الأمة مكبّلة بواقعها مخدرة بتاريخها وقـد ضـعفت إرادتها وتشكلت عندها حالات وهن وركود ورقود غـير مسـبوقة، في

حين أن هذا التاريخ من شأنه أن ينهضها من وضعها الراهن، هـــذا إن أحسنت التعامل مع قيمها.

لا شك أن كتب الأطفال عن التاريخ الإسلامي تحوي خيراً، ولكنه خير لا يفعل فعله المطلوب في التغيير بسبب ما يعترضه من عقبات تتمثل في شوائب كثيرة تكدّر صفوه، وهي شوائب تكاد تطغى على هذا الخير بفعل ما تحمل من مفهومات وأخبار مدسوسة مغايرة تماماً لما يجـــب أن يتلقاه الأولاد وينشأوا عليه، والخطورة هنا أن هذا يربي أجيالاً لا تقـــدر تاريخها حق قدره، ولا تملك العزيمة لتفعيله حتى يتحول إلى محرك قـــوي للإرادة، فالتاريخ بصـــورة عامة، والتـــاريخ الإســـلامي علـــى وجـــه الخصوص، إنما هو منارات تضيء دروب المستقبل، إن أحســـن فهمـــه، وليس واقع محنطـــة في متحف التاريخ، فالتفاعل معه لا بد أن ينبع مـــن رؤية التطلع للمستقبل، وما هو واقـــع في فهمنا للتـــاريخ الإســـــلامي ونقـــدنا له إنمـــا يجعل ارتباط أولادنا به هشّاً عرضة لأي انفصال معـــه إذا ما أتيحت الظروف.

ونقف هـــنا مع هـــذه النمـــاذج، التي تمـــثل اتجاهات عـــامة في كتابة هـــذا التاريخ لأولاد الأمـــة، وهي تظهر كيف ذهبت الأقـــــلام مذاهب شتـــى كأنـــها تتخبط ذات اليمين وذات الشمال وقد فقـــدت بوصلة الأمان.

النموذج الأول:

ذكر أن الصحـــابي حاطب بن أبي بلتعة، رضي الله عنه، رســـول النبي ﷺ إلى المقوقـــس حـــاكم مصر آنذاك قد طـــاف في الإسكندرية، فرأى جـــامعتها وحصونـــها ومســـلتين من آثار الفراعـــنة، وسمـــع عن أخـــناتون الذي نادى بديانـــة التوحـــيد قبل موســـى وعيســـى، عليهما السلام[1] .

يثير هذا الخبر عديداً من التساؤلات، وقد أقحم في إطـــار الواقـــع التاريخي، فلا يوجد مصدر تاريخي يذكر هذا[2]، وهل كانـــت مكتبـــة الإسكندرية قائمة حين دخول الصحابي مصر نحو السنة الســـابعة مـــن الهجرة؟ وهل كان الناس على علم بأخنـــاتون ودعوتـــه المزعومـــة إلى التوحيد؟ فمن المعلوم أن المسألة الفرعونية والاهتمام بها لم تظهر إلا بعـــد أن أثارها (الآخر) منذ ما يقارب نحو مائتي عام، أي بعد اكتشاف حجر رشيد عام ١٧٩٩م (نحو ١٢١٤ هـــ)، فبين الصحابي، رضي الله عنـــه، وهذا التاريخ أكثر من عشرة قرون، ومن المعلوم كذلك أن أخناتون كان

---

(١) الهلال والصليب (القاهرة: مؤسسة روز اليوسف، ١٩٨٠م) ص ١٢.

(٢) ينظر على سبيل المثال: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب؛ تحقيق عبـــد المـــنعم عامر (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦١م) ص ٦٥-٧٢ .

تجسيداً للآلهة، ثم أصبح ابن إله، وكان رعاياه يتعبدون له[1]، ولو أنه دعا إلى التوحيد الحق لما ادعى أنه ابن إله، والمجازفة في ذكر هذه الدعوة الباطلة يخشى معه التوهم بأنها قد أثرت على دعوتي موسى وعيسى، عليهما السلام، كأنهما قد أخذا عنه فكرة التوحيد ولم تكن وحياً، وقد خاض في هذا الكلام الفاسد «سيجموند فرويد» اليهودي الذي ادعى أن موسى، عليه السلام، قد تربى في كنف الوحدانية التي نادى بها أخناتون.

النموذج الثاني:

ورد في أحد كتب الأطفال أن غلاماً نصرانياً من بني تغلب قد حسم معركة البويب التي جرت بين المسلمين والفرس عام ١٣ هـ عندما قتل قائد الفرس[2]، ويهمنا أن نذكر مرويات هذه المعركة بإيجاز : فقد رويت بعدة طرق مع اختلاف بيّن في مجرياتها، فعند خليفة بن خياط أن براء

---

(١) ينظر على سبيل المثال: الدريد، سيريل أخناتون، ترجمة أحمد زهير أمين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م) ص٣٤، ١٤٨-١٤٩؛ جاردنر، ألن، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، ط ٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م) ص ٢٥٥.

(٢) الغلام التغلبي (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٨٥م) ص٢.

ابن مالك قد بارز قائد الفرس المرزبان وقـــتله[1]، وعند البلاذري روايتان لم يذكر فيهما أن من قتله هو الغلام النصراني [2]، وعند الطـــبري أربـــع مرويات[3] اثنتان منهما تفيدان أن من قتل المرزبان هو غلام تغلبي، وقـــد رواهما الطبري، رحمه الله، عن سيف بن معمر التميمي وهو متـــروك[4]. لقد اختيرت الرواية الضعيفة اتفاقاً مع رؤية قومية خارج إطار العقيـــدة، ولعل الأولاد يتساءلون عن مجاهدين مسلمين في معركة البويب يقفـــون حيارى مذهولين مكتوفي الأيدي أمام الفرس، فينهض غلام نصراني يهتف إعلاء لقومه «أنا الغلام التغلبي» وليس نصرة لدين الله، يقدم هذا لأولاد الأمة عن معركة ذكر المؤرخ ابن كثير، رحمه الله، أنها بحجمها وأهميتـــها تعادل معركة اليرمـــوك في بلاد الشام[5]. هذا نموذج يظهر أن اختيـــار الخبر إنما وفق الهوى، وليس اتباعاً للحق، يقدم للأولاد حتى وإن كـــان خبراً تالفاً واهياً.

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمـــري، ط ٢ (دمشـــق: دار القلم، ١٩٧٧م) ص ١٢٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، نشره صلاح الـــدين المنجـــد (القـــاهرة : مكتبـــة النهضـــة المصرية، ١٩٥٦م) ٣١١/٢.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ٤٦٥/٣-٤٦٦.

(٤) الرازي، الجرح والتعديل (بيروت: دار الكتب العلمية) ٢٧٨/٤.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م) م ٤ ، ٢٩/٧.

النموذج الثالث:

إنه نموذج يسقط التفسير المادي على التاريخ الإسلامي، فتكون الفتوحات الإسلامية وفق هذا التفسير لأهداف مادية، ومن ذلك ما ذكر من أن الصحابي عمرو بن العاص، رضي الله عنه، قد أعجب بمصر إعجاباً شديداً؛ لأنها أفضل البلاد وأكثرها مالاً[1]، وهذا قد دفعه دفعاً لفتحها. والأمر ذاته ينسحب على فتح المسلمين للأندلس، فقد أخذ يوليان يعدّد لموسى بن نصير، رحمه الله، خيرات الأندلس وكنوزها، فاتجه المسلمون ليحصلوا على تلك الغنائم [2].

النموذج الرابع:

هو نموذج لا يعتمد على مرويات ضعيفة، وإنما يبتكر أخباراً غريبة، فمن ذلك أن يتحول السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى بطل للقومية العربية قد جمع كلمة العرب من مسلمين ونصارى لمحاربة الفرنج[3]، وقد كان بين قواته عدد كبير من النصارى، واشتهر بينهم عيسى العوام[4]. إنها

---

(١) عمرو في مصر: قصة دخول مصر في الإسلام (القاهرة : مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٨م) ص ١٦- ١٧ .

(٢) جرجي زيدان، فتح الأندلس (معدّة للفتيان) (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٨م) ٢/١٢، ٣٩، ٤٢، ٩١ .

(٣) الناصر صلاح الدين (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢م) ص ٢، ٥، ٤٦؛ صلاح الدين الأيوبي (القاهرة : دار الكتب الإسلامية، ١٩٩١م) ص ٢، ٥، ٩.

(٤) الهلال والصليب، ص ٢٧.

رؤية تشوه صفحات مشرقة من تاريخ الأمة قامت على الحق، وتسيء إلى قائد مسلم لم يكن عربياً، قد تمكن من جمع كلمة الأمة تحت راية الإسلام، وليس راية القومية كما يزعم، وأن المصادر المعاصرة تفند الادعاء بأن عيسى العوام، رحمه الله، كان نصرانياً[1]. ونستأنس بقول ابن تيمية، رحمه الله، وهو قريب عهد بتلك الحقبة التاريخية: «وصلاح الدين وأهل بيته ما كانوا يوالون النصارى، ولم يكونوا يستعملون منهم أحداً في شيء من أمور المسلمين أصلاً، ولهذا كانوا مؤيدين منصورين على الأعداء، مع قلة المال والعدد»[2].

النموذج الخامس:

إنه نموذج يخرج من فكر (الآخر)، لا سيما الاتجاه الاستشراقي فيه، وهو يضخّم ما كان بين المسلمين من فتن، ويجعل تاريخهم تاريخ حروب وقتل وسفك دماء وفتن ومؤامرات ودسائس[3]، وهذا يدفع أولاد الأمة

---

(١) ينظر على سبيل المثال: العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح (القاهرة: الدار القومية، ١٩٦٥م) ص٤٢٣.

(٢) ابن تيمية، مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد الحنبلي (القاهرة: مكتبة ابن تيمية) ٦٣٩/٢٨.

(٣) شمس الهدى والإيمان، أعلام الفتح الإسلامي : عمرو بن العاص (حلب: دار ربيع) ص٤، ١٤؛ قصص الخلفاء الراشدين (القاهرة: مكتبة مصر) ؛ وقعة صفين، ص ١٢، ١٤؛ وقعة الجمل، ص ٧-١٠، ١٢-١٤؛ رجال مرج دابق : قصة الفتح العثماني لمصر والشام (بيروت: دار الفتى العربي، ١٩٨٣ م) ص ١٨، ١٩، ٢٥، ٣١ .

إلى النظر بريبة وشك إلى التاريخ الإسلامي، ويزعزع إيمانهم بهذا التاريخ ورجالاته، فيضيع خير كثير، ويتوقف الفعل الحضاري المرتجى من الأولاد استكمالاً لمسيرة الحق.

النموذج السادس:

تميل بعض الكتب إلى تصوير حكام المسلمين وأولياء أمورهم بصورة مغايرة للواقع، فكثير منهم يظهرون في الكتب غارقين في اللهو والفساد ينفقون من خزائن الدولة ببذخ، ولا يبدون أدنى اهتمام بالرعية[1]. وهذا من شأنه أن يوهن علاقة أولاد الأمة بمن ولي أمر المسلمين عبر تاريخهم، كما يؤدي إلى التشكيك في حقيقتهم وأنهم لم يكونوا يحكمون بما أنزل الله، بل وفق أهوائهم، فلا بد والحال هذه من نبذ تاريخهم بأكمله والتطلع إلى (الآخر) وتبني فكره السياسي، فإن نظام حكم (الآخر) وسياسته لرعيته هي المطلوبة لتحقيق الرخاء والعدل مع إخفاء فكره الميكيافيللي حتى لا تثار الشكوك في نظامه، وهذا يقود إلى أن تلغى تلك العلامات الخيّرة في التاريخ الإسلامي لتحل محلها صفحات مليئة بالمفتريات

(١) أبو ذر الغفاري (١٩٧٤م) ص ٩٠، ٩٧، ٩٩، وجرجي زيدان، عبد الرحمن الناصر (معدّة للفتيان) (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٨م) ص ١٢، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٥، ٧٢- ٧٣؛ ورجال مرج دابق، ص ١٧؛ وعلي مبارك (القاهرة : مكتبة مصر، ١٩٨٩م) ص ٤ .

والأكاذيب مأخوذة من مرويات موضوعة تالفة تقرأ من كتاب الأغـــاني وألف ليلة وليلة.

النموذج السابع:

تسيء كتب الأطفال لدولة المماليك والدولة العثمانية إســاءة تــثير الدهشة والعجب، فالمماليك في تلك الكتب عبيد انتزعــوا الملــك مــن سادهم العرب، وأسسوا دولتهم بالخيانة، يستبيحون كل شـــيء حمايــة لعروشهم وحفاظاً على الثروة الحرام، لا يخلصون لعهد، قد أذاقوا العرب العذاب بوحشيتهم وشرورهم[1]، وسلاطين الدولة العثمانية قتلة يشقون طريقهم إلى العرش ســابحين في بحر دماء آل عثمان، لا يحترمون المــودة ولا صلة الدم، يمارسون الظلم والفساد، همهم كتم أنفاس الناس وجمــع أموالهم، عصرهم من أحلك العصور وأشدها طغياناً واستبداداً وفســاداً، بقيت بعض الديار الإسلامية تحت احتلالهم نحو خمسمائة عــام فرضــوا خلالها حكماً قاسياً اتسم بالتخلف والجهل والفقر[2].

---

(١) رجال مرج دابق، ص ١٣، ١٨، ١٩، ٢٠، ٨٠؛ الهلال والصــليب ص ٢٥، ٣٩، ٤٠؛ نجيب محفوظ أمام العرش (ميسّرة للفتيان) (القاهرة دار الشــروق، ١٩٩٠م) ص ٥٩، ٦١.

(٢) الهلال والصليب ص ٢٥، ٣٩، ٤٠ورجال مرج دابــق، ص ١٥؛ وأمــام العــرش (ميسّرة للفتيان) ص ٥٧، ٥٩؛ الانتظار، ط ٢ (بيروت: مركــز دراســات الوحــدة العربية، ١٩٨٤م) ص٥-٦ ؛ عمر مكرم (القاهرة : مكتبة مصــر، ١٩٨٩م) ص ٤، ١١، ١٧، ٢٩، ٤٠.

إنه تجاهل عن سبق إصرار وترصد لجهود الدولتين في الحفاظ على عقيدة الأمة وكيانها ونهوضها وظهورها وبنائها الحضاري ودرء الأخطار عنها، وإنه من غير الإنصاف أن تؤخذ هذه الإنجازات التي استغرقت نحو سبعة قرون بجريرة فترات ضعف نتيجة ابتعاد عن الحق، فتكون تلك السقطات تجسيداً للدولتين وإلغاءً لدورهما الفاعل والمؤثر في ديار الإسلام، وما ذاك إلا بسبب رؤية ضيقة وإقليمية محصورة، فدعاة العنصرية يرون المماليك والعثمانيين أجانب دخلاء خارج إطار العقيدة التي تربط الأخوة فيها بوشائج المحبة والتعاون والرحمة والولاء.

واتفاقاً مع هذا التوجه الظالم لمجريات التاريخ الإسلامي، اعتبرت الحملة الفرنسية حركة تنوير في بعض ديار الإسلام، فقد رفعت شعارات الحرية والإخاء والمساواة، وعملت على هدم جدار العزلة والتخلف فيها[1]، والغرض من هذا الكلام واضح، وهو يتفق مع محاولات (الآخر) ليس فقط لإسقاط الخلافة الإسلامية، وإنما لإلغاء الإسلام من حياة المسلمين للقضاء عليه.

---

(١) الهلال والصليب، ص٣١، ٣٢، ٣٧.

كلمة:

في الحديث عن التاريخ الإسلامي وأولاد الأمة تبرز مسؤولية الكتاب الجسيمة في الكتابة في هذا الميدان الفكري الواسع، فمما لا شك فيه أن المادة التاريخية تشكل محور اهتمام الكتاب، وهي في حد ذاتها تمثل إشكالية لا بد من مواجهتها. فعندما يشرع الكتاب في الكتابة تعترضهم مواقف وحوادث لا حصر لها تتطلب حيطة وتأملاً، وهذا من الواجب أن يدفعهم إلى الحذر، وهو حذر واجب كل الوجوب بسبب طبيعة المتلقي وبسبب طبيعة المادة التاريخية. وفي الحالين فإن الأمر يتصل بأداء الأمانة على أكمل وجه حتى تصل سليمة صحيحة تفعل فعلها المطلوب في التأثير من أجل إنهاض الهمم في البناء والحركة الصحيحة للمشاركة في التاريخ، فأولاد الأمة لن يبقوا أطفالاً طوال عمرهم، وهم في نمو وتحول، وينبغي أن تكون البذرة صحيحة سليمة في تربة خيّرة حتى تكون الثمرة طيبة، وأداء الأمانة كذلك يكون للتاريخ الإسلامي نفسه، حتى يصل إلى المتلقي من نبعه الصافي دون أن يكدره كدر.

إن كتب الأولاد عن التاريخ الإسلامي، وهي تحمل جوانب خير عديدة، تضم كذلك مغالطات كثيرة ومفتريات من شأنها أن تترك أثرها السلبي على الأولاد، وإن ضعف اتصالهم بتاريخهم إنما هو بداية ابتعادهم

عن دينهم، لأن التاريخ الإسلامي هو تطبيق عملي عبر القرون لهذا الدين وما يحمل من قيم تنـــزل على أرض الواقع وتفعل فعلها في التغيير.

وفي كتابة التاريخ الإسلامي لأولادنا تعترضنا مسألة مهمة أخــرى، وهي مسألة السقطات في تاريخنا، والصفحات المشرقة التي تكدرت بفعل خروج الإنسان عن الحق، وهذا أمر طبيــعي، فالمسلمون ليسوا ملائكـة ولا معصومين، تجري عليهم السنن التي تجري على البشــر في الســقوط والزلل والأخطاء والهفوات، وهذه مدونة في كتب مؤرخينا، فإنهم وقــد أدركوا حقيقة الإنســان لم يغفــلوا عن ذكرها، ولكنهم ما فعلوا ذلك إلا لبيان واقع الحال وللأمانة العلمية، وكانوا يدركون أن هذا إنما سنن، فكلما كانــت الأمة أقرب إلى خالقها انتصرت في شتى مناحي الحيــاة، وكلما ابتعــدت عن خالقها كانــت الهــزائم والضــعف والتخــاذل والاختلاف والفرقة.

ومن هذا المبدأ لا نقدر أن نغض الطرف عن السقطات والأخطــاء ومواقع الزلل في تاريخنا. إننا نقرأ هذه السقطات ونقف عندها ونحــرص على بيان ما تشتمل من عبر ودروس[1]، ونقدمها لأولادنا في أطر مناسبة ملائمة حتى لا نغرس فيهم قلقاً وخوفاً وتشكيكاً بتاريخ أمتــهم، بــل

---

(١) محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ط ٢ (القاهرة : دار الشــروق، ١٩٩٣م) ص ٢٩ .

ندعوهم إلى أن يقبلوا عليه إقبال الحريص على دينه وأمته، وبذلك نفوّت على (الآخر) فرصة حتى لا يفترسهم بما يزيّن لهم من أمور، وبما يدس من سموم عن التاريخ الإسلامي في محاولة منه لانتزاعهم من جذورهم.

ولعل السؤال الذي يطرح في هذا المقام: كيف نقدم هذه الأخطاء لأولادنا؟ لقد عمدت كتب الأطفال إلى تضخيم الأخطاء لغايات، وإن وجود النية الخالصة لله تعالى يحصّن من الزلل، فإنها دافعة للخير وفعله، تعمل على غرس القيم الإسلامية في نفوس الناشئة، كما تهتم ببذر بذور التقدير لتاريخ الأمة في قلوبهم، فيكون له نصيب وافر من اهتمامهم، يقرأونه بتدبر وتأمل، ويكتشفون فيه الفعل الذي يعينهم على ارتياد المستقبل، بل يدفعهم إلى إعادة كتابته وفق الأصول ضمن خطة شاملة تنهض لها نخبة الأمة الواعية، حتى لا يصبح فريسة (للآخر) من الخارج، وحتى لا يكون مطية لأقلام جاهلة من الداخل تعبث فيه وفق الأهواء. وبذلك يرتبط الأولاد ارتباطاً وثيقاً بتاريخهم، ويدافعون عنه في المستقبل القريب والبعيد، بدل أن تغرس فيهم بذور الشك والطعن فيه، وبدل أن يرضعوا لبان الكراهية نحوه.

نقف هنا عند فترات الانكسار والسقوط في تاريخنا، ونتأمل المنهج الرباني يرسم لنا طريقاً واضحة المعالم في التعامل معها دون وجل، ولا ينفرون منه وهم يعلمون أن الأخطاء لا بد أن تذكر، ولهم في القرآن

الكريم المثل الأعلى: ففي غزوة أحد أصيب المسلمون وابتلوا ابتلاءً شديداً، وقد خالف نفر منهم أمر الرسول ﷺ طمعاً في المغنم، وكانت الهزيمة نتيجة الطمع، وكانت التوبة والاستغفار، والانتصار على النفس التي تأمر بالسوء، وكانت العبرة، فالمسلم المؤمن هو الأعلى، وله وراثة الأرض إن اتبع ما أمره الله به[1].

فهذا هو مجتمع النبوة وخير القرون، يكون محلاً للمناصحة والنقد والتقويم في مراحل النصر والهزيمة، ولعلها أعلى درجات التقويم والنقد لأرقى المجتمعات وأكثرها خيرية، وهو يشكل أنموذجاً للمجتمعات القادمة، فإنه مجتمع غير معصوم يكون مثلاً وقدوة لمجتمعات قادمة تتعرض للخطأ[2]. فلم يغيّب المنهج الرباني فترات الانكسار والهزيمة والسقوط والأخطاء، عبرة للمسلمين وهم يقرأون القرآن الكريم ويتدبرون ما جاء فيه حتى تقوم الساعة. وفي هذا المنهج الإلهي إضاءة أخرى مهمة، فإنه لم يشتم الذين أخطأوا في معركة أحد، ولم يسبهم، بل أظهر خطأهم، وما كان لهم من توبة واستغفار بعد ذلك، وما هذا إلا لإرشاد المسلمين إلى كيفية التعامل مع أخطائهم وكبواتهم وسقطاتهم.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ١٥ (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٨م) ٤/١، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٨٠.

(٢) أكرم ضياء العمري، قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، مقدمة عمر عبيد حسنه (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٤ هـ) ١٧/١، ٢٣.

نستعرض في هذا المقام منهج بعض الأقلام في التعامل مع السقطات التاريخية في أدب الأطفال، وتتناول ما حدث لشجرة الدر، التي تعد من الشخصيات النسائية البارزة في التاريخ الإسلامي، وقد أثارت سيرتها الاهتمام، وما كتب عنها للأولاد: «.. وانهالت قباقيب ضرتها - مطلقة أبيك وأم ابنه - على رأسها فحطمتها.. وأمرت بإلقاء جثتها من القلعة لتسقط في خندق تحت سورها، مهشمة الرأس، شبه عارية. وانتهى أمر ذات الحجاب الجميل والستر الجليل بجثة تطير حولها الجوارح، ويعبث اللصوص بحرمتها، فيسرقون بعض ما زينت به ملابسها الداخلية من حلي، ولم يبق منها سوى أشلاء ممزقة حملوها في قفة ودفنوها..»[1].

يبدو أسلوب العرض مؤثراً يستدر العواطف ويهز المشاعر، ولكنه خارج عن إطار تقديم التاريخ الإسلامي لأولادنا، وخارج عن الأمانة العلمية والالتزام بالحق، فلشجرة الدر فضائل كثيرة، وهو ما تجاهله النص تجاهلاً تاماً، وكذلك لها أخطاء، ولكن إن كان لا بد من ذكرها فلا بد من أسلوب يتناسب مع التوجه التربوي، فالتاريخ الإسلامي دروس وعبر واستقراء لفعل المستقبل، ولكن في غياب الأمانة والالتزام بقيم الأمة تخرج الأهواء من أوكارها لتضل.

---

(١) رجال مرج دابق، ص ١٩.

إن الأخطاء امتحان وابتلاء وتمحيص، لا نخفيها ولا نحاول أن نغض الطرف عنها، كما لا نحاول أبداً أن نداري الانحرافات ونلتمس المعـــاذير للتـــبرير أو نخـــتلق وقائع مزورة للكذب، فـــإننا ونحن نكتب التـــاريخ لأولادنا إنما نؤدي الأمانة، والتاريخ أمانة، فعلينا أن نتحرى الحـــق دون محاباة ولا ظلم[1].

وفي الحديث عن الأخطـــاء، التي لا بد ألا نتجاهلها، يتوجب علينا ألا نبالغ في ذكرها اتباعاً لهوى، لا سيما أننا نكتب التاريخ لأولاد الأمة، ولنعلم أن مســـاحة تلك السقطات لا تذكر أمام إنجازات كبيرة، يقول ابن تيمية، رحمه الله، في هذا الشـــأن: «إنه إذا قيس ما يوجد في الأمة إلى ما يوجد في سائر الأمم كان قليلاً من كثير، وإنما يغلط من يغلط أنه ينظر إلى السواد القليل في الثوب الأبيض ولا ينظر إلى الثوب الأسود الذي فيه بياض، وهذا من الجهل والظلم»[2].

ذاك قول جدير بالتأمل عند قراءة التاريخ الإسلامي وكتابته، فـــإن قراءته تتطلب قدرة على دراسته وتقديمه بشجاعة حتى تكون عندنا رؤية لقوانين السقوط والنهوض والاهتداء والوقاية الحضارية[3]، فإنه حركـــة

---

(١) كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص١٦- ١٧.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٣/٢٤٢.

(٣) قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، ١/١٢ .

المجتمع الإسلامي واستجابة المسلمين لقيم الدين وتفاعلهم معها وتجسيدها في الواقع، ودراسته تعين المسلمين على الإسهام في بناء الحاضر والمستقبل حتى يتمكنوا من مهمة الاستخلاف وفق المنهج الإلهي[1]. ومهما حلت بهم النكسات فإنهم قادرون على النهوض والتجاوز؛ لأنهم يمتلكون القيم السليمة المعصومة[2].

فإن كانت هناك حاجة ماسة إلى كتابة التاريخ الإسلامي للأولاد بمنهج صحيح لا زيغ فيه ولا شطط ولا مغالطات، فإن هناك حاجة لا تقل إلحاحاً عن هذا وهي الاهتمام بالشكل أو أسلوب عرض المادة. فليس من الصواب أن تسوّد صحائف بأسلوب تقليدي يتبع نمطاً واحداً من السرد يتكرر مع مئات الكتب. إن جمهور الأطفال واسع، له تنوع في القدرة على التلقي والفهم والإدراك، فطفل الخامسة يحتاج إلى موضوعات ومفردات وتركيبات لغوية تختلف اختلافاً بيناً عن حاجة طفل العاشرة أو الخامسة عشرة. ومن حق هذا الطفل أن يكون بين يديه كتب تتسم بأشكال فنية متنوعة تثير عنده الاهتمام والتشويق والترغيب، فيقبل على تاريخه إقبالاً حسناً، بدل أن يعرض عنه.

---

(١) المرجع نفسه، ١٢/١، ٢٥، ٣٢.
(٢) المرجع نفسه، ١٢/٢.

إن كتابة التـاريخ الإسـلامي للأطفـال مثقلة بقيـود الجهـل والتعصب والتشرذم والعشـوائية ورغـبات الناشرين، وهـي مكبّلـة كذلك بالرضـا بما هو قائم على مستوى الشكل، فإن ضـعف الرؤيـة تحول دون الاستفادة من تجربة (الآخر) في هـذا المجـال علـى وجـه الخصوص، ومجـال أدب الأطفـال على وجه العمـوم.

ويبدو من الغريب حقاً أن نستفيد من فكر (الآخر) ونستعيره لنقدمه للكبار والصغار دون أن ندرك خطورة هذا الفكر، في حين أننا نعـرض إعراضاً غريباً عن خططـه وأسـاليبه في تقديم التاريخ لأولاده، ونعـني هذا الشـكل أو الإطار الذي يحوي المضمـون، ويلاحـظ في هـذا الشأن اهتمام الكتاب والمربين خـارج ديار الإسلام، لا سيما في أوروبة، بمادة التاريخ اهتمـاماً كبيراً، وهم يلجأون إلى وسائل متنوعة من شأنها أن تحبب مادة التاريخ لأطفالهم. فهناك النشاطات المسرحية والتمثيلية على اختلاف أنواعها، وهي نشاطات تشجع الأطفال على معايشة الحـوادث التاريخية بكل معطياتها، فيعيشون أجواءها كأنها تحدث أمامهم، ويشاركون في إعداد المناظر والملابس وكل ما يتعلق بها، ولا يقف المشرف/ المشرفة بعيداً، فإنه يتفاعل معهم ويناقشهم ويلفت أنظارهم إلى كـل صـغيرة وكبيرة، كما يشارك في أداء دور إحدى الشخصيات التاريخية(١).

---

(١) ينظر على سبيل المثال :
1 - Plyth , Joan, History 5 to 9. - London: Hodder and Stoughton, 1988.
2 - History in the primary and secondary years, London : HMSO, 1985.

وهناك المتاحف والأماكن الخاصة بالأزمنة التاريخية التي تتيح للأولاد فرص معايشتها والحديث عنها وتأمل جوانبها. ونجد كتباً وكتيبات مخصصة لهم تقوم متاحف بنشرها(١)، كذلك الكتب التي تعتبر حجر الأساس في تعرفهم إلى التاريخ، ويدهش المرء لهذا التنافس الشديد بين دور النشر لتقديمها، كما يدهش وهو يتصفحها متأملاً الجهد الكبير الذي بذله الكتاب والرسامون والمصممون ليحصلوا على صور قريبة من تلك الفترات الزمنية(٢).

ويقرأ المرء في كتب الخرائط التي تتناول الحضارات المتعاقبة على وجه الأرض، والكتب المتخصصة في إظهار مواقع تاريخية في ديار الإسلام، لا سيما في فلسطين، ضمن عملية تزوير للتاريخ هدفها إثبات حق لقوم

---

(١) ينظر على سبيل المثال :

1 – Hale , John, Museums and the teaching of history, Museum vol. xxi no.1, 1986.

2 – Richardson , Joy , Inside the British Museum . – London : British Museum, 1989.

(٢) ينظر على سبيل المثال :

1 – Reeves , Marjorie, The Medieval Castle, 2nd ed. Harlow: Longman , 1990

2 – Cairns , Trevor, Men Become Civilized, Cambridge : C.U.Press, 1980.

لا وطن لهم، فيتكئون على التاريخ لإثبات حق مزعوم كــذباً. هكــذا يستخدمون التاريخ ويستغلونه بإتقان شديد[1].

(الآخر) لا يمــلك تاريخاً مثل التــاريخ الإســلامي، بكل أبعــاده ومعطياته وقيمه الحضارية، ومع ذلك نرى كل قوم يخــدمون تــاريخهم ضمن جهود عظيمة، وهي جهود تســتقطبها مؤسسات ومراكز بحــث متخصصــة ودور نشر تنفــق الملايين، في حــين أننا ما زلنا في أماكننا منكفــئين على ذواتنا معجبين بأنفســنا إلى درجة الإســراف، لم نفكر في إنشاء ولو مؤسســة علمــية واحدة تهتم اهتماماً حقيقياً وصادقاً في ثقافة أطفــال الأمة، يقودهــا نخبة من المتخصصــين، يبــذلون الخــير ويؤدون الأمانة[2].

---

(١) ينظر على سبيل المثال:
Archaeology . - London : Macdonald , 1974.

(٢) للأمانة تذكر جهود جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لاهتمامها بثقافــة الطفــل المسلم على أسس علمية، وتكاد تكون الوحيدة في هذا المجال في ديار الإسلام.

الفصل السادس

المستقبل المرجو

تبيّنت في ثنايا الفصول السابقة أمور تلقي ضوءاً على مستقبل أدب الأطفال والمرجو منه، والحديث عن هذا الأدب هو حديث عن مستقبل الأمة وأملها حتى يعود لها دورها في الفعل الحضاري والتغيير، فلا تستكين لواقع يثبّط العزائم ويلقي الوهن في القلوب والنفوس والعقول، ولا تركن إلى (الآخر) وهو يحول بينها وبين أداء دورها في البناء والنهوض والظهور.

إن هجوم (الآخر) يعصف بهذه الأمة بصورة غير مسبوقة، وربما يذكّرنا بما فعله في الأندلس في أواخر عهد دولة المسلمين هناك، وعندما نسترجع تاريخنا هناك فإنما نفعل ذلك للعبرة لنا ولأولادنا، وما جرى ويجري في هذا الزمن العصيب هو تحركات دقيقة مرسومة مخطط لها أمام أمة قد أعرضت عن الخير، فضعفت صلتها بخالقها لذلك، وتوالت عليها المحن والبلاءات، وقد جرّأ ضعفها (الآخر) عليها، فأخذ يدبّر ويكيد في الخفاء.

ولا يظن (الآخر) أن المسلمين سذّج إلى حد أن يقبلوا بأن ما يجري وردود فعله إنما هي من فعل جماعات إسلامية هنا وهناك، كما يقول

ويروّج، وإنما هو كيد (الآخر) وتخطيطه الخفي وفعله، ومراكز البحوث المنتشرة عنده دليل مادي ملموس، فهي مصانع الفكر تدار فيها آليات الهجوم على الإسلام وأهله بكل دقة حتى تكون الإصابات قاتلة.

وعندما نستعرض هجوم (الآخر) على البلاد والعباد منذ قرون، نرى أن آلياته الآن قد تطورت وتحولت إلى أدوات أشد فتكاً وأكثر تدميراً على صعيد حرب الفكر والثقافة، والعالم الإسلامي في اضطراب وذهول وحيرة.

يستمر العدوان الفكري ويشتد بطشه، و(الآخر) يدرك أن زيادة عدد المسلمين يشكل خطراً عليه[1]، فلا بد من اللجوء إلى خطط خبيثة تبثّ في العالم الإسلامي رعباً. فمن ذلك الحديث عن شح الموارد في ديار الإسلام، وتتحرك الحكومات لتعقد مؤسساتها ذات الصلة المؤتمرات والاجتماعات وتقيم حلقات البحث والندوات وتجنّد وسائل الإعلام لتوعية الناس بأهمية تنظيم الأسرة استجابة لخطر داهم يتربص بالأمة كما يحلو (للآخر) أن يصور ويؤكد.

ويقف أولاد الأمة يتأملون ويشاهدون وقد سُكنوا بالخوف والقلق، فإنهم سوف يواجهون فقراً ومجاعات وقلة غذاء وشحاً في المياه،

---

(١) هنتجتون، صامويل، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط ٢ (القاهرة: سطور، ١٩٩٩م) ص ١٦٩-١٧٠.

كما تصور لهم وسائل الإعلام، ويسكن هذا الفزع في العقول قبل القلوب في غياب العقيدة، التي تطمئن الإنسان إلى أن رزقه ليس من صنع البشر.

ويبدأ الأولاد يفكرون كما أراد لهم (الآخر)، فإنه قد خطط وهيأ ودبّر ومكر، وامتد هذا كله إلى بنيان الأمة، كبيرها وصغيرها، ولا يطول التفكير بالأولاد كثيراً وهم يرون الكبار قد رضخوا لفكر (الآخر) وتدبيره، وهم على الدرب سائرون، فيقبلون حلوله الجاهزة.

المهم في هذا الكيد والتدبير ألا تعيش الأمة قيمها الحقيقية، وهي قيم من شأنها أن تحوّل الإيمان إلى حركة فاعلة في المجتمع، فيكثر الخير ويعمّ الوفر، ويستجيب الله عز وجل لاستغفار من يستغفر: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ (نوح: ١٠-١٢)، ويستتب الأمن وقد أطعم الله الناس من جوع وآمنهم من خوف: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ (قريش: ٣-٤)، وتنهض الأمة لتؤدي فعلها الحضاري والاستخلاف في الأرض والبناء وهي تعيش في رخاء مع نعم الله العزيز سبحانه وتعالى، ويصبح عمل هذ الأمة في كافة مناحي الحياة بؤرة اهتمام العالم بأسره، وهذه ليست أمنية يستحيل تحقيقها، بل هي مما يمكن أن يتحقق، كما في عصر النبوة والخلافة الراشدة وهو عصر خير

القرون، عصر رجال غير معصومين جعلوا الإسلام منهج حياتهم، وانتصروا لأنهم نصروا الله. وكما في عصور لاحقة تم النصر للمسلمين، ولعل هذه الحقيقة تخيف (الآخر)، مثلما خاف مشركو قريش والكافرون.

من هنا يبرز الأدب في تأصيل القيم وتفعيلها عند أولاد الأمة، فإن كان الواقع يحمل كثيراً من المثبطات ويضع حواجز وعقبات أمام الحركة المرجوة للأمة، فواجب الأدب أن يحدث التغيير المطلوب في العقول والقلوب والنفوس حتى يتمكن الأولاد من تخطي هذه الحواجز ومواجهة (الآخر) بالحسنى كما هو الأمر الإلهي : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٦)، فالغلبة لن تكون للحديد، ولا ينتصر العنف والإكراه، ولكن القوة هي قوة الإيمان بقيم الإسلام فتتنزّل على أرض الواقع مرة ثانية، وتكون المواجهة، وتستطيع الأمة بقوة الفكر وتطبيقه وآليات المجادلة بالحسنى أن تضع (الآخر) أمام حقيقته: إنه يفرض فكره بالإكراه والإرهاب والترويع والإغراءات، ثم هو يدعي ما أسماه «الديمقراطية»، هذه حال من هو مصاب بفصام فكري وانقسام ثقافي وازدواج في النفس رهيب، وهي حال لا يعيشها المؤمن وهو على صلة بخالقه.

ويدرك المؤمن أنه مهما ظلم (الآخر) واستبد وقتل وأضل وأغوى، فإن هذه حال لا تدوم، والانتصار إنما لمن انتصر لله، فليقض (الآخر) ما هو قاض وهو يقضي الحياة الدنيا، وهي حياة قصيرة أمدها، والظلم يزول وكذلك التسلط، ويظهر الحق وينير الدروب وتنتشر قيمه.

تلك مسألة جدير بأن يتأملها المسلم، فإنه وهو الكيّس الفطن الحذر لا يركن إلى ردود أفعال متشنجة تفقده توازنه وتبعده عن الصراط، فإنه لا يريد أن يكون ذرة طائشة تتقاذفها الأهواء والضلالات والعصبيات وردود الأفعال، بل هو لبنة خير في البنيان المرصوص.

يقف المسلم ويتأمل ويستمع ويحاور، ويحاول ويسعى لتطبيق القيم وينزلها على أرض الواقع، مثلما فعل الأجداد الصالحون عبر القرون.

إنه يفعل هذا أمام بصر وسمع (الآخر)، وهو يرى (الآخر) يعاني من حالات غضب واستبداد وتسلط، ويصرّح بأنه محب للإنسانية والخير والعدالة، فنفسه ممزقة مضطربة منقسمة، وقلب المسلم مطمئن : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨)، لا ينفصل عن خالقه لأنه سبحانه وتعالى يرشده ويقود خطاه ويهيء له الأسباب وقد أخذ بها المسلم ورعاها وحماها.

يسمع المسلم ما يقال له من أن أمته متأخرة فقيرة جاهلة تنتمي إلى عالم متخلف مثخن بجروح الماضي والحاضر، تتقاذفها ريح العنف

والتعصب، ولا سبيل إلى النهوض إلا باتباع (الآخر)، ويصدق في المسلمين المتخاذلين قول رسول الله ﷺ: « **لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ.. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ ؟**»[1].

المسلم يسمع ويسعى إلى أن يدفع قضاءً بقضاء حتى ينتصر في ساحات الحياة، وهو يعلم أن التخلف المادي ومظاهره المتعددة إنما هو حالة طارئة تزول بزوال الأسباب، فلا يدفعه هذا إلى تبلبل أفكاره واضطرابه وتشتته فتضيع جهوده ويفقد صلته بخالقه، وهنا يكمن الخطر والإصابة القاتلة: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه:١٢٤)، فالإعراض عن الله يولد شقاء وحيرة واضطراباً وتهافتاً على الدنيا، لذلك يدرك المسلم أن الأمة كلما كانت مستمسكة بدينها مكنها الله عز وجل في الأرض، وكلما حادت عن الطريق زال عنها التمكين وأصابتها النكبات[2]. هذا ما على المسلم الكبير والصغير أن يدركه.

ويستوقفنا أدب الأطفال، ونحن في صدد الحديث عن أهميته ودوره المرجو للمستقبل، فإن عجز عن التغيير وجب إعادة النظر في وضعه، وهذه بعض أمور في هذه المسألة:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لتتبعنّ سنن من كان قبلكم، ٩/١٢٦-١٢٧.

(٢) كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص ٢٩.

الأمر الأول:

إن غياب المنهج الصحيح عن أدب الأطفال يعني تحول الكتابة إلى خبط عشواء، في حين يتضمن المنهج المطلوب رؤية ذات بصيرة تدرك أهمية القيم في التغيير، والقيم هي قيم الكتاب والسنّة التي يمثلها الإنسان المسلم عبر التاريخ، فالإنسان على وجه العموم يجسّدها ويفعّلها، ويدرك الأولاد أن الانتصار للحق يتطلب عزمات، ولا يكون أماني يحققها المصباح السحري وبساط الريح في حلم اليقظة.

الأمر الثاني:

التصدي للكتابة في أدب الأطفال وثقافتهم يحتاج إلى فقه بالإسلام وثوابته، وقد ابتلينا في عصرنا الحديث بما يسمونه بالتربية الحديثة التي تفصل الدين عن الحياة، فنشأت أجيال متخصصة في مختلف علوم الحياة، إلا أنها تفتقد أساسها وهو الإسلام وشرعه، وأصبحت تحذو حذو (الآخر) في فصله الدين عن الدنيا بصورة سافرة، فالأدب المرجو هو أدب يستند إلى دعائم قيم الأمة، فإن تناول هذا الأدب سير الأنبياء والرسل، عليهم السلام، ابتعد عن الإسرائيليات المدسوسة وروايات القصّاص؛ وإن أراد أن يتحدث عن سيرة النبي ﷺ وجب أن يقدمها نقية صافية مما شابها من أباطيل ومفتريات ومرويات ضعيفة؛ وإن رغب في الحديث عن التاريخ الإسلامي وجب أن يكون الحديث منطلقاً من عقيدة الأمة ومن التفسير الصحيح للتاريخ، وليس وفق الهوى والاتجاهات المادية والوضعية والقومية، فهو تاريخ مرتبط بالعقيدة، يقرأ من خلالها.

إن الكتابة للأطفال في هذه الأمور تستدعي العلم بقيم الإسـلام، وإن لم يتيسر للكاتب هذا، وجب سؤال أهل العلم والاختصاص، حتى تكون الكتابات منسجمة مع تلك القيم، تؤدي دورها في التغيير المطلوب والبناء والعمل.

الأمر الثالث:

لابد للنقد الملتزم أن يقوم بدوره.. فكيف ننهض بثقافة ناشئة مثـل ثقافة الأولاد في مناخ من التعصب والجهل والشللية والمجاملات وحـب الظهور والإعجاب الشديد بالنفس ؟ إن الأقلام النقدية الجادة التي تسعى للخير إنما تحاول أن تصحح مسيرة هذه الثقافة، وهي أقلام لا تأخذها في الحق لومة لائم.

وإن نظرة عامة إلى واقع أدب الأطفال وثقافتهم تؤكد غياب هـذا النقد، فالثقافة الإسلامية تمر حالياً بأزمة تتمثل في غياب حركـة النقـد الواعية، فلا عجب أن ترى كثرة التكرار في الأشكال والمضامين[1] ليس فقط في ثقافة الكبار، وإنما في ثقافة الأولاد كذلك. ويغيب النقد الواعي، وهو غياب يتحمل جزءاً من مسؤوليته علماء الأمة. فإن ما يكتـب في الأدب والثقافة إنما يمسّ بصورة مباشرة الإسلام، ومن المؤكد أن العلماء حريصون على أن يبقى الإسلام قوياً وأهله أعزة، وإن غيـاب فعلـهم النقدي ومتابعة ما يجري في هذا الجانب يترك أثراً سيئاً ربما لا تدرك الأمة خطره، والأخطار محدقة بها، وربما تتهاون في شأنه؛ لأنه يمس «الصغار»، وأدب الصغار هو آخر ما يفكر به الكبار أمام ما يواجه الأمة من أخطار.

---

(١) أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة (الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشـؤون الدينية، ١٤٠٥ هـ) ص ١٢٩ .

المطلوب علماء يمتلكون أدوات النقد الصحيحة، قادرون على خوض مسألة من أخطر المسائل في التربية والتوجيه والإعداد للمستقبل، والأدب الذين هم في صدد مواجهته وتصحيح مسيرته أشبه ما يكون بغابة تنمو فيها النباتات دون تشذيب أو تهذيب، فيكون النمو عشوائياً، ويختلط النافع بالضار. ونتحدث هنا عمن يستطيعون المواجهة في واقع مظلم تبدو آفاقه المستقبلية أكثر ظلمة، هم رجال عزماتهم لابد أن تنير الدرب، وإن كانوا يعملون فرادى لا تجمعهم مؤسسات علمية. وعندما يبرز النقد الموضوعي المرتبط بالحق تتنبه الأقلام إلى أهمية أدب الأولاد وثقافتهم، وإلى دورها في الحفاظ على كيان الأمة وحمايته، فإما أن تستمر ولكن بتوجه مختلف وأدوات متميزة، وإما أن تنسحب حتى لا يزداد العبث والإفساد في أدب الأطفال، بعدها تقوم الأقلام الجادة الحريصة على أداء الأمانة بدورها خالصاً لوجه الله، فتحدث التأثير المطلوب، بعون الله.

الأمر الرابع:

إن الاهتمام بالنقد العلمي الجاد، وبناء نخبة قادرة على العطاء الفعلي الصحيح في أدب الأطفال وثقافتهم لابد أن يتصل بإيجاد مؤسسة أو مؤسسات نشر تهتم اهتماماً فعلياً بالأدب الملتزم البنّاء، فلا يبقى الكاتب أسير رغبات الناشرين تكبّله قيود السوق، التي تعتبر الكتاب مجرد سلعة قابلة للعرض والطلب. وإن بناء مؤسسة النخبة في هذا المجال لإنتاج الأدب المرجو يرافقه بناء ما يعمل على نشره، مما يكفل له الانتشار الواسع في أرجاء ديار الإسلام وخارجها.

الأمر الخامس:

تتطلب الكتابة في أدب الأطفال رؤية واسعة، فلا يكتفى بما هو قريب بين الأيدي، بل لا بد من الاستفادة من تجارب (الآخر) وخبراته، (فالآخر) عنده رصيد كبير لابد أن يسهم في ارتقاء أدب الأطفال، إن أحسن استخدامه ضمن ثوابت قيمنا. والأمر يعني استمرار الإطلاع على تلك التجارب في كافة فروع المعرفة، ولا يقتصر على الأدب، وهذا يستدعي وجود مركز متخصص يرفد أدب الأطفال في مختلف الجوانب، وهنا نقف وقفة نتأمل فيها إسهامات علماء الأمة العلمية.

لقد أخذ العلماء المسلمون عمن سبقهم من علماء الإغريق وغيرهم، واستفادوا استفادة كبيرة، وكانوا يعتبرون أنفسهم أشبه بتلاميذ لأولئك العلماء، وكانوا أمناء في النقل، ولأن النوايا كانت حاضرة في حياتهم، ولأنهم أخذوا بالأسباب حقّ على الله سبحانه وتعالى أن يأخذ بأيديهم ويعينهم ويثبّتهم، فتحقق العلو(١). ولنا في إنجازات علمائنا، رحمهم الله، درس وعبرة للنهوض بأدب الأطفال.

الأمر السادس:

الاهتمام بكافة المراحل العمرية في أدب الأطفال واجب، فطفل السادسة هو رجل المستقبل، ومن حقه علينا أن نقدّم له الزاد الطيب في

---

(١) فؤاد سزكين، محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية (فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ١٩٨٤م) ص ٢٦، ٢٨، ٢٩، ١١٨، ١٢٠.

أطر ملائمة تناسبة وبلغة يفهمها، ولا ننتظر حتى يصل إلى سن العاشـــرة ليقرأ في هذه المجالات. وهـــذا الأمر من الأمـــور التي ما تزال مهمشة إن لم تكن مهملة، والأقلام ما تزال تتجاهلها وتعرض عنها، ربما لعدم قدرتها على الوصول إليها من حيث الشكل والمضمون معاً. وربما يسأل المـــرء: كيف نكتب عن قصص الأنبياء والسيرة النبوية وسير الصحابة والتـــاريخ الإسلامي لطفل السادسة؟ إن المسألة مرهونة بالغاية من الكتابة وبالقدرة الحقيقية على التعامل مع هذا الأمر، فإن حسمت سهل الأمر، ومن يبتغي الخير، وإن بدا صعب المنال والتحقيق، ييسّره الله سبحانه وتعالى لـــه، إن أحسن الأخذ بالأسباب وصالها.

الأمر السابع:

أدب الأطفـــال جزء لا يتجزأ من تربيتهم وثقافتـــهم، والمرجـــو أن يكون هذا الأدب عنصراً فاعلاً مؤثراً، يدفع أولاد الأمة إلى التغيير والحركة الإيجابية والبناء، وهم يكـــبرون، فيظهرون (للآخر) ما الإســـلام وقيمه، وما الدور الفعلي المناط بالمسلم وكيفية تعامله مع غير المسلم بالعدل بعيـــداً عن التعصب والتشنج وردود الأفعال الآنية، ومن واجب الأدب أن يـــبرز هذا الدور ويؤكّـــده ويفعّله، وهو دور كان فاعلاً أدّاه الســـلف الصـــالح بأمانة، وكان السلف يعمل كثيراً ويحرص أن يكون عمله كله لله ســـبحانه وتعالى، فدخل الناس في دين الله أفواجاً بالحكمة والموعظـــة الحسنة وليس بالإكراه. من واجب الأدب أن يربي في الطفل تلك الثـــوابت، وأن يغرس

فيه العزم والصبر حتى يؤدي الفعل ويواجه العالم بقدرته ورؤيته وتفاعله الحقيقي مع الزمان والمكان، وتكون نخبة المستقبل، ويكون أهل اختصاص المستقبل، ويكثر الخير ويعمّ، بإذن الله.

الأمر الثامن:

إن رعاية الكبار للصغار تستوجب الاهتمام بأدب الأطفال وثقافتهم، فالجانب الفكري له الأهمية القصوى في عملية النشأة والتربية، وهذا يتطلب من الكبار أن يكونوا على وعي كاف بما يدور في هذا الأدب حتى تحقق قراءة الأولاد غايتها المنشودة، فلا يتركوا ضحايا للآخرين.

ففي البيت والمدرسة ومكتبة الأطفال وعبر وسائل الإعلام يكون البناء والتحصين، ويكون الكبار على استعداد لحضانة فكرهم ورعايته وتغذيته بكل قيم الخير التي يدعو لها الإسلام.

خاتمة:

إن الأدب بمفهومه الشامل يسهم في تحصين الأمة، وإن كان التحصين قوياً فاعلاً كان البنيان مرصوصاً يتصدى لأي عدوان، والعدوان باق، ووعد الله عز وجل ما زال قائماً: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ (غافر:٥١)، إنه وعد حق قاطع ماثل للعيان في كل لحظة من لحظات التاريخ، والله لا يخلف الميعاد.. (الآخر) لا يملك تاريخاً مثل التاريخ الإسلامي، بكل أبعاده ومعطياته وقيمه الحضارية.

الفهرس

وكـــــلاء التـــوزيــــع

البلد	اسم الوكيل	رقم الهاتف	عنوانه
قطـــــــر	دار الثقافـــــــــــــــة دار الثقافة «قسم توزيع الكتاب»	٤٦٢٢١٨٢ ٤٤١٣٤٧١	ص.ب: ٨١٥٠ – الدوحة فاكس: ٤٤٣٦٨٠٠-بجوار سوق الجبر
البحـــــرين	مكتبـــــــــــة الآداب	٢٣١٠٦٢ ٢١٠٧٦٨(المنامة) ٦٨١٢٤٣ (مدينة عيسى)	ص.ب: ٢٨٧ – البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦
الكويـــــت	مكتبة دار المنار الإســـلامية	٢٦١٥٠٤٥	ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي شارع تونس رمز بريدي: ٢٣٠٤٥ فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤
سلطنة عمان	مكتبـــة علـــوم القـــرآن	٧٨٣٥٦٧٧	ص.ب: ١٩٦٠ روي ١١٢ فاكس: ٧٨٣٥٦٨
الأردن	شركة وكالة التوزيع الأردنية	٥٣٥٨٨٥٥	ص.ب: ٣٣٧١ – عمان ١١١٨١ فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣
الـــــيمن	مجموعـــة الجيـــل الجديـــد	٧٨٠٤٠٠-٧١٣٦٣ ٢٧٠٣٨ -٧٥٨١١	ص.ب: ٥٤٤– صنعاء فاكس: ٢١٣١٦٣
الســـودان	دار الغـــد للنشـــر والتوزيـــع	٠١٢٣٥٠٦٩٥	الخرطوم – السودان فاكس: ٧٧٩٣٤١
مصـــــــر	دار السلام للطباعـــة والنشـــر والتوزيــــع والترجـــــة	٢٧٤١٥٧٨ ٢٧٠٤٢٨٠ ٥٩٣٢٨٢٠	ص.ب: ١٦١ غورية ١٢٠ ش الأزهر – القاهرة فاكس: ٢٧٤١٧٥٠
المغـــــرب	مكتبة منار العرفان للنشر والتوزيع	٧٣٣٣٢٩	نهج موناستير رقم ١٦– الرباط
إنكلتـــــرا	دار الرعايـــة الإســـلامية	(01) 272-5170/ 263-3071	Muslim welfare House, 233. Seven Sisters Road, London N4 2DA. Fax: (071) 2812687 Registered Charity No:271680

ثمن النسخة

الأردن	(٥٠٠)	فلس
الإمارات	(٥)	دراهم
البحرين	(٥٠٠)	فلس
تونس	دينار واحد	
السعودية	(٥)	ريالات
السودان	(٤٠)	ديناراً
عمان	(٥٠٠)	بيسة
قطر	(٥)	ريالات
الكويت	(٥٠٠)	فلس
مصر	(٣)	جنيهات
المغرب	(١٠)	دراهم
اليمن	(٤٠)	ريالاً

* الأمريكتان وأوروبا وأستراليا وباقي دول آسيا وأفريقيا: دولار أمريكي ونصف، أو ما يعادله.

مركز البحوث والدراسات

هاتف: ٤٤٤٧٣٠٠

فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢

برقياً: الأمة - الدوحة

ص.ب: ٨٩٣ - الدوحة - قطر

موقعنا على الإنترنت:
www.islamweb.net

البريد الإلكتروني: E.Mail
M_Dirasat@Islam.gov.qa

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مــركز البــحوث والدراســات
أمانة الجائزة

جائزة الشيخ

علي بن عبد الله آل ثاني

للعلوم الشرعية والفكر الإسلامي

إسهامًا في تشجيع البحث العلمي، والسعي إلى تكوين جيل من العلماء في ميادين العلوم الشرعية المتعــددة، تنظم أمانــة جــائزة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني العالمية، مسابقة بحثية في مجال العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، **جائزتها (١٠٠) ألف ريال قطري.**

شروط الجائزة:

١- أن يكون البحث قد أعد خصيصاً للجائزة، وألا يكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية.

٢- أن تتوفر في البحث المقدم خصائص البحث العلمي، من حيث الإطار النظري للبحث، والمنهج العلمي، والإحاطة والشــمولية، والجدة والابتكار.

٣- أن يلتزم الباحث بالمحاور المعلنة جميعها.